

الضمير في خطب نهج البلاغة ((دراسة دلالية))

الأستاذ المساعد الدكتور

مرتضى عباس فالح

ابرار عبد الحميد رشيد

كلية التربية - جامعة البصرة

ملخص

حاول هذا البحث فهم الضمير المبهم وفقاً لمفهوم اللغويين والبلاغيين من قدماء ومحدثين وبحث دلالاته في نهج البلاغة ، فهو أحد أنواع المبهمات (أسماء الإشارة ، والاسم الموصول ، والمبهمات الأخرى من الأسماء) ويقصد بالضمير الاستتار والخفاء و بدوره يحتاج إلى مفسر أو عائد قد يظهر أو يخفى على السامع ، وجعل من المبهمات لشيوع الدلالة ، وإجمالها في اللفظ الذي يتسنى إطلاقه على مسميات عديدة ، فضلاً عن ذلك أنه قد يكون فيه دلالة العموم التي تستغرق أفراداً كثيرين ، لا يمكن تخصيصها إلا بالقرائن ، ومن هنا جاء الإبهام ، وقد قسمت هذه الدراسة الضمير إلى أولاً : بحسب وجوده اللفظي أو عدمه إلى (ظاهر ، ومستتر) .

ثانياً : بحسب الدلالة وهذا ما سنركز عليه في بحثنا ، وهي : (ضمائر المتكلم ، والمخاطب

، وضمير الغيبة) ، وضمير الغائب له أنواع هي :

أ - ضمير يعود على متقدم مذكور

ب - ضمير عائد على متأخر مذكور في النص

ج - ضمير عائد على خارج النص : أي: غير موجود في النص ويفهم من سياق النص ومناسبته ، فحاولت هذه الدراسة أن تبين مفهوم الضمير من منطلق دلالي في خطب نهج البلاغة ، وبيّنت سبب استخدام الإمام الضمير في مواضع التحقير والتوبيخ ، واستخدامه في مواضع أخرى للتعظيم ، والفخر، والتشويق .

المقدمة

الحمد لله حمد الحامدين والصلاة والسلام على سيد المرسلين مُحَمَّد وآله الطيبين الطاهرين أما بعد : فإن موضوع الضمير في نهج البلاغة من الموضوعات النادرة التي لم تعرض ، لكن دراستها في القرآن الكريم ليست جديدة بشكل عام ، فقد تناولتها كتب النحو (كالبرهان في علوم القرآن) للزركشي ، و(الإتقان في علوم القرآن) لجلال الدين السيوطي وغيرها من الكتب النحوية ، وظهرت الدراسات الحديثة (كالضمير المبهم في القرآن الكريم دراسة نحوية دلالية) وهي أطروحة دكتوراه لعبد الرحمن عزيز مصطفى الأسدي في جامعة الموصل ، إضافة إلى تناول الضمير من حيث عائلته ومفسره (كأحوال الضمير

الضمير في خطب نهج البلاغة (دراسة دلالية)

مع مفسره) لزكية بنت فازع اللحياني في جامعة أم القرى ، وغيرهما من الدراسات التي تناولت الضمير في ضوء القرآن الكريم .

أما بحثنا فتناول الضمير المبهم في نهج البلاغة دراسة دلالية ، فالضمير المبهم هو ما لم يصرح بذكر عائده ، أو الذي يكون عائده مبهماً أو نكرة ، أو ما كان عائده مذكور في النص لكن دلالاته غير واضحة ، فكون الضمير نوعاً من أنواع المبهمات ، وكونه أخذ الصدارة من حيث وجوده من بين أنواع المبهمات في نهج البلاغة ، ولكثرته في الخطب ، ارتأينا بحثه في أبلغ كلام بعد القرآن الكريم وهو كلام سيد البلغاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

وبحثنا يتكون من :

أولاً: المعنى اللغوي للضمير.

ثانياً: المعنى الاصطلاحي للضمير .

ثالثاً: وظائف الضمير .

رابعاً أقسام الضمير ، وهي:

١- بحسب وجودها اللفظي وعدمه على (بارزة ، ومستترة) ، والبارزة (إلى منفصلة ، ومتصلة) .

٢- بحسب الدلالة إلى (متكلم ، ومخاطب ، وغائب) ، وابتدأنا بالضمير الغائب وبشكل مفصل .

لكثرته في خطب نهج البلاغة مقارنة بضمير المتكلم والمخاطب ، فقسمناه إلى :

— الضمير العائد على أقرب مذكور

— الضمير العائد على متأخر مذكور

— الضمير العائد على خارج النص

ثم تحدثنا عن ضمير المخاطب ، والمتكلم ومثلنا له بأمثلة من خطب النهج .

خامساً/ دلالة الضمير في خطب نهج البلاغة

تناولنا تطبيقات عن الضمير ودلالاته في خطب نهج البلاغة لكثرته فيها ، وقسمنا دلالة الضمير على قسمين

١- الدلالة السلبية للضمير، وتشمل :

أ- دلالة التصغير والتحقير

ب- دلالة التوبيخ .

٢- الدلالة الإيجابية للضمير : وتشمل :

أ- دلالة التفخيم والتعظيم .

ب- دلالة الفخر .

ج- دلالة التشويق .

الضمير في خطب نهج البلاغة (دراسة دلالية)

ولا يخلو هذا البحث من صعوبات ؛ لكونه في أبلغ كلام بعد القرآن ، وأهم ما استندنا عليه من مصادر أغنت البحث فهي متنوعة من مصادر لغوية ، ونحوية ، وبلاغية ، ودلالية ومنها: (العين للخليل ، والكتاب لسيويه ، والمقتضب للمبرد ، وجامع الدروس العربية لمصطفى الغلاييني ، ومفتاح العلوم للسكاكي ، والمثل السائر لابن الأثير ،) وغيرها من المصادر فضلاً عن شروح النهج ومنها : (شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني) .

وختاماً نرجو من الله تعالى أن يلاقي هذا البحث المتواضع رضا الإمام علي (عليه السلام)، والقبول من حضرتكم.

الضمير في خطب نهج البلاغة

دراسة دلالية

أولاً:- المعنى اللغوي للضمير: جاء في العين ((الضمير من الهزال... والفعل: **ضَمَرَ** يَضْمُرُ ضُموراً فهو ضامرٌ.... والضمير: الشيء الذي تُضمِرُه في ضمير قلبك)).^(٨)

ففي قول الخليل معنى الخفاء في الضمير ؛ لأن الذي تضميره في قلبك أي: تخفيه. وفي لسان العرب يعني: ((السرُّ وداخلُ الخاطرِ والجمع الضمائرُ... تقول أضمرتُ صرفَ الحرفِ إذا كان متحركاً فأسكنته ، وأضمرتُ في نفسي شيئاً والاسم الضميرُ والجمع الضمائرُ... وأضمرته الأرضُ غيبتها إما بموت وإما بسفر)).^(٩)

فابن منظور ذهب إلى المعنى الذي وضعه الخليل في معنى الضمير فهو يدل على الاستتار والخفاء وزوال الشيء عن العيان ، وربما قصد إضمار المعنى الذي كانت الحركة تدل عليه ، ولكنه انتقى السكون فاضمر المعنى .

ثانياً: المعنى الاصطلاحي:- لم يذكر سيويه ت(١٨٠هـ) تعريفاً محدداً للضمير ، وإنما ذكر ما اضمر من الأفعال ، والصفات في فصول متفرقة ، وذكر في باب المبهمات حديثه عن المضمر فعدّ ضمائر الغيبة من المبهمات.^(١٠)

أما المبرد ت(٢٨٥هـ) فعدّ الضمائر من المعارف في قوله: ((ومن المعرفة المضمر ، نحو: الهاء في (ضربتته) ، و(مررت به) ، والكاف في (ضربتك) و(مررت بك) ، والتاء في (قمتُ) و(قمتَ) و(قمتِ يا امرأة))^(١١) ، وقال: ((إنما صار الضمير معرفة ؛ لأنك لا تضميره إلا بعد ما يعرفه السامع ، وذلك أنك لا تقول: مررت به ولا ضربته... حتى تعرفه وتدرى إلى من يرجع هذا الضمير)).^(١٢)

وأنه ذكر أن المعارف كلما كانت أخصّ فكانت أعرف المعارف ، فيقول : ((فأخصّ المعارف بعد ما لا يقع عليه القول إضمار المتكلم في نحو: أنا ، والتاء في (فعلتُ) ، والياء في (غلامي) ؛ لأنه لا يشركه في هذا أحد)).^(١٣)

الضمير في خطب نهج البلاغة ((دراسة دلالية))

وابن السراج ت(٣١٦هـ) عدّ الضمائر من باب الكنايات في قوله: ((الكنايات ضربان : متصل بالفعل ، ومنفصل منه)).^(١٤) ويسميه كناية حيناً أو ضميراً أو مضمراً حيناً آخر .^(١٥) ولا أجد في هذا التعريف اختلافاً ؛ لأنّ الضمير كناية عن الاسم الحاضر في ذهن المتكلم ، أو المخاطب .

وذكر أبو القاسم السهيلي ت(٥٨١هـ) معنى الضمير بقوله: ((إذا تقدّم في الكلام اسم ظاهر ثم أعيد ذكره أو ما المتكلم إليه بأدنى لفظ ، ولم يحتج إلى إعادة اسمه لتقدّم ذكره فإذا أضمره في نفسه - أي: أخفاه - ودلّ المخاطب عليه بلفظة مصطلح عليها ، سميت تلك اللفظة اسماً مضمراً ؛ لأنها عبارة عن الاسم الذي أضمر استغناء عن لفظ ظاهر)).^(١٦) أي أنّ الضمير يأتي لتجنب التكرار والإطالة في ذكر الاسم . والضمير عند الرضي ت (٦٨٦هـ): ((هو ما وضع لتكلم ، أو مخاطب ، أو غائب تقدّم ذكره لفظاً ، أو معنى ، أو حكماً))^(١٧) ، والقصد في ذكره (لفظاً) : هو أن يكون ما يفسر الضمير قد تقدّم ذكره ، (والمعنى) أي: قد يفهم من معنى السياق ، و(حكماً) : في كون هذا الضمير لا يعود على غيره . وذكر ابن مالك تعريف المضمّر بقوله : ((وهو الموضوع لتعيين مسمّاه مشعرا بتكلمه أو خطابه أو غيبته))^(١٨) .

ويبدو الارتباط واضحاً بين المعنى اللغوي ، والاصطلاحي للضمير عند ابن هشام حيث يقول : ((وإنما سمي مضمراً من قولهم : (أضمرت الشيء في نفسي) : إذا سترته وأخفيتّه ، ومنه قولهم (أضمرت الشيء في نفسي) ، أو من الضمور وهو الهزال ؛ لأنه في الغالب قليل الحروف ثم تلك الحروف الموضوعه له في الغالب مهموسة - وهي التاء والكاف والهاء - والهمس هو: الصوت الخفي)).^(١٩) وعرفه إبراهيم أنيس بقوله: ((الضمائر وهي تلك الألفاظ المعروفة في كتب النحاة بهذا الاسم مثل (أنا ، وأنت ، وهو..... الخ)).^(٢٠)

أما مهدي المخزومي فجمع الضمائر ، والإشارات ، والموصولات في باب أسماء (الكنايات) وعدّها كنايات ، أو إشارات يُشار بها إلى المتكلمين ، والمخاطبين ، والغائبين.^(٢١)

أما فاضل الساقى فيقول: (إنها كلمة تدل على عموم الحاضر ، أو الغائب ، ودلالاتها على ذلك هي معناها الصرفي العام))^(٢٢) ، وأضاف إلى تقسيم الضمائر (أسماء الإشارة) وعدّها قسماً من أقسام ضمير الحضور^(٢٣) ، ولا أجد مسوغاً لعدّ اسم الإشارة مع الضمير حتى أنّ النحويين بما فيهم القدماء ، والمحدثون لم يذكروا ذلك التقسيم ، لكن بعضهم يضع هذه الأسماء مع الضمائر ، والأسماء الموصولة في باب يسمونه (الكنايات) كما أشرنا سابقاً .

وعرفه مصطفى الغلاييني ((الضمير هو ما يكتن به عن متكلم ، أو مخاطب ، أو غائب فهو قائم مقام ما يكتن به عنه ، مثل: أنا وأنت وهو الخ)).^(٢٤)

الضمير في خطب نهج البلاغة ((دراسة دلالية))

أما البلاغيون فعرّفوا الضمير كما عرفه النحاة ، لكنهم صاغوه صياغةً بلاغيةً فهذا السكاكي (ت ٦٢٦هـ) يشير إلى تعريف الضمير بقوله : ((أعلم أن الضمير عبارة عن الاسم المتضمن للإشارة إلى المتكلم ، أو المخاطب ، أو إلى غيرهما بعد سابق ذكره))^(٢٥)

أما ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) فقد صاغ الضمير صياغةً بلاغيةً كذلك ، وذكره في عطف المظهر على ضميره والإفصاح بعده - وهنا - يقول يجئ هكذا من أجل تعظيم ، وتفخيم الأمر المذكور.^(٢٦) والقزويني ذكر المضمّر في باب (المسند إليه) إذ يوضع المضمّر مكان المظهر .^(٢٧)

ومما يذكر أن البلاغيين لم يخالفوا النحويين في معنى الضمير وهو الخفاء ؛ لكنهم أكدوا المفسر في جملة الضمير وعدّوا هذا الأمر من أمور البلاغة.

إذن فمن هذا كله نستنتج أن المعنى الاصطلاحي لا يختلف عن المعنى المعجمي ، فالضمير يعني الخفاء ، والاستتار ، والخفاء ، والاستتار بحاجة إلى مفسر ، وهذا ما نريد أن نتوصل إليه في بحثنا الضمير . وتسمية الضمير أو المضمّر هو اصطلاح بصري ، أما في الاصطلاح الكوفي فهم يعبرون عنه بالكناية أو الاسم (المكني)^(٢٨) ، ولا فرق بين المضمّر ، والمكني عند الكوفيين فهما من قبيل الأسماء المترادفة ، فمعناها واحد وإن اختلفا من جهة اللفظ ، أما البصريون فيقولون : إنّ المضمّرات نوع من الكنايات ، فكل مضمّر مكنى وليس كل مكني مضمراً.^(٢٩)

إذن مصطلح الكوفيين فيه شمول ، وعند البصريين أعمّ من أن يشمل الضمير وحده ، فالكناية تشمل عندهم عدة معان ، أحدها الإضمار وبذلك يعدّون الضمير نوعاً من أنواع الكناية غرضه الاختصار ، وليس هو الكناية ذاتها.

ومهما كان من اختلاف في المصطلحين ، فالمعنى المراد من كليهما واحد وهو وجود مفسر للضمير ؛ وتلك إشارة إلى ما يكتنف الضمير من غموض ، وخفاء ، وإبهام) أو مدى حاجته إلى ما يزيل هذا الغموض والإبهام ، فعندما نقول: (زيد رأيتُ زيدا) ، في هذا إعادة المفسر بلفظه ، فلو قلنا: (زيد رأيتَه) نعدّل بذلك إلى الضمير ، وفي ذلك قصداً للإيجاز ، والضمير أعرف المعارف على رأي جمهور النحويين وأعرفها ضمير المتكلم والمخاطب ثم الغائب.^(٣٠)

وهناك خلاف في رتبة الضمير ، فقد ذهب سيبويه إلى أنه أعرف المعارف ، ثم العلم ، ثم المبهم ، ثم ما عرف بالإنف واللام ، أما الكوفيون فقد ذهبوا إلى أن الاسم المبهم أعرف من الاسم العلم^(٣١) ، وعند ابن السراج يأتي بعد اسم الإشارة .^(٣٢)

أما ابن مالك فيعدّ أعرف المعارف المتكلم ، ثم يليه المخاطب والعلم الخاص في مرتبة متساوية ، ثم الغائب السالم من الإبهام.^(٣٣)

الضمير في خطب نهج البلاغة ((دراسة دلالية))

ثالثاً/ وظيفة الضمير:- إن من أهم الأسباب التي تؤدي إلى العدول إلى الضمير ومنها نستنتج أهم وظائف الضمير هي:

١- الاختصار : فالضمائر تمثل مظهراً من مظاهر الإيجاز ، فبناؤها اللفظي يمثل إيجازاً ، فهي تستعمل ليعبر بها عن ألفاظ قد تكثر حروفها ، ويطول تعدادها فيصبح الإتيان بها تكراراً لذا يعدل إلى الضمير طلباً للاختصار ، ففي الآية المباركة في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَاتِلِينَ وَالْقَاتِلَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْحَاشِعِينَ وَالْحَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّانِعِينَ وَالصَّانِعَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفرةً وَأَجراً عظيماً ﴾ الأحزاب: ٣٥ .

نجد أن الضمير قد ناب عن الكلمات التي لو أعيد لفظها لنجد أن المقام يطول كثيراً . (٣٤)

٢- رفع الالتباس : إذ لو استغنى عن الضمير بتكرار المفسر لتوهم أن المذكور الثاني غير الأول ، ولذلك يؤتى بالضمير لينص على أن المراد هو المذكور بعينه . (٣٥)

والضمير من الآليات التي تؤدي إلى تماسك النص ، وتسهم في تحقيق الترابط بين اللفظ والمعنى ، وعن وظيفة الضمير ذهب ابن جني إلى أن الضمائر يؤتى بها طلباً للخفة وزوال الشك بمكانها ، إذ يقول : ((وذلك أنك لو قلت ، (زيد ضرب زيدا) فجئت بعائده مظهراً مثله ، في ذلك إلباس ، واستثقال ، أما الإلباس ؛ فلأنك إذا قلت : (زيد ضرب زيدا) لم تأمن أن يظن أن (زيداً) الثاني غير الأول ، وأن عائد الأول متوقع ومتربح ، فإذا قلت : (زيد ضربته) علم بالمضمرة أن الضرب إنما وقع بزيد المذكور لا محالة ، وزوال تعلق القلب لأجله وبسببه)) (٣٦) ، أما عن وجه الاستخفاف فيقول : ((فلأنك إذا قلت : (والعبيثان شمتته) - والعبيثان : نبات طيب الأكل طيب الرائحة (٣٧) - فجعلت موضع التسعة واحداً كان أمثل من أن تعيد التسعة كلها ، فتقول : العبيثان شمت العبيثان)) . (٣٨)

فوظيفة الضمير هي (الاختصار ، والإيجاز) ، و(منع الالتباس في المعنى المراد إيصاله) ، و(معنى وفائدة التوكيد) .

وعدّ النحاة الضمير من المبنيات ، وذلك لأسباب منها :

- ١- مشابهة الحرف في الوضع ؛ حيث أن أكثر الضمائر جاءت على حرف واحد أو حرفين .
- ٢- مشابهته له في الافتقار ؛ لأن المضمرة لا تتم دلالته على مسماه إلا بضميم من مشاهدة ، أو ما يقوم مقامها ، ولأنه لا يفهم معناه بنفسه بل مع ما يضم إليه وبقرينة لفظية أو معنوية .
- ٣- مشابهته له في الجمود ؛ وذلك لعدم التصرف في لفظه بوجه من الوجوه . (٣٩)

الضمير في خطب نهج البلاغة ((دراسة دلالية))

وإن الضمائر أسماء ؛ لأنها تقوم بوظيفة الاسم فتقع مسنداً كما تقع مسنداً إليه ، وطالما عدت أسماء فلا بد أن تعترضنا قضية تعريفها ، وتنكيرها ، فبعض النحاة عدوها أعرف المعارف ، وهناك من عدّها من المبهمات فرأى أنها تحتاج إلى إيضاح وتفسير ، ولا سيما في ورودها في نهج البلاغة إذ إنها قد تأتي مبهمة في مواضع وتحتاج لإيضاح. (٤١)

وفضلاً عن الوظائف السابقة الذكر للضمير لا بد من إشارة مهمة إلى أن الضمير يؤدي وظيفة كبيرة في الربط ، فالضمير يؤدي وظيفته في وصل التراكيب ، كما تؤديها المعاني الرابطة ، لكنه يختلف عنها في كونه يعتمد على إعادة الذكر ، في حين تعتمد تلك الأدوات على معانيها الوظيفية التي تحدد نوع العلاقة المنشأة ، كأدوات الشرط ، وأدوات العطف ، وحروف الجر. (٤٢) ((فالجملة كالعقد الذي يجمع بين جباته سلكاً وثيقاً ، ولا بد أن يبقى السلك متصلًا ، وإلا ما استطاع الرائي أن يفهم من شكله معنى العقد ، وهذا هو الارتباط ، فإذا انقطع السلك ، يعالج بطريق الربط وذلك ما يعمله الضمير)). (٤٣)

إذن فالضمائر مورفيمات وظيفية تتغير وظائفها النحوية بتغير المقامات التي تحكمها.

رابعا / أقسام الضمير:- تنقسم الضمائر

١- بحسب وجودها اللفظي ، أو عدمه على : (ظاهرة ، ومستترة) وتنقسم الظاهرة على (منفصلة ومتصلة).

فالضمير الظاهر : وهو الذي له ظهور في اللفظ ويذكر في الكلام نحو: (أنت ، والتاء) وينقسم إلى ضمير متصل ومنفصل ، (فالتصل): هو الذي لا يستقل لفظاً وإنما يتصل بالأفعال والأسماء والحروف ويكون كالجُزء من الكلمة ، وعلامته أنه لا يفتح به الكلام ، ولا يقع بعد إلا ، وله ثلاثة أقسام:

أ - الضمائر المتصلة التي تقع في محل رفع ، وهي: (تاء المتكلم ، وتاء المخاطب ، وياء المخاطبة ، ونون النسوة ، وألف الاثنين ، وواو الجماعة).

ب - الضمائر المتصلة التي تقع في محل نصب وجر وهي: (ياء المتكلم ، ، وكاف الخطاب ، وهاء الغائبة).

ج - الضمائر المشتركة في الرفع والنصب والجر ، وهي: (نا المتكلمين). (٤٣)

والضمائر المنفصلة: وهي التي تستقل لفظاً ، ولا تعتمد في وجودها على فعل أو اسم أو أداة ، وهي نوعان:

أ - ضمائر منفصلة تقع في محل رفع للمتكلم: (أنا ، نحن) ، للمخاطب (أنت ، وأنت ، أئتما ، وأنتم ، أنتن) ، وللغائب: (هو ، هي ، هما ، هم ، هن) .

ب - ضمائر منفصلة تقع في محل نصب: للمتكلم (إياي ، إيانا) ، للمخاطب: (إياك ، إياكم ، إياكم ، إياكن) ، وللغائب: (إياه ، إياها ، إياهما ، إياهما ، إياهم ، إياهن). (٤٤)

الضمير في خطب نهج البلاغة (دراسة دلالية)

أما القسم الثاني من الضمائر باعتبار الظهور وهو الضمير المستتر ، فعندما رأى النحاة أنّ الفعل لا بدّ له من فاعل يسند إليه ويذكر بعده نحو: (صام المسلم ، أفطر الصائم) فإن لم يظهر الفاعل ، ولم يسند إليه ضمير بارز قدرنا ضميراً مستتراً بعده يجعل عملية الإسناد صحيحة ، فإن تقدم المسلم في الجملة السابقة بحيث تحولت من الفعلية إلى الاسمية وجب تقدير ضمير يعود على المبتدأ (الفاعل في الأصل) ، ليصبح الفعل (صام) ، وفاعله (الضمير المستتر) هو خبراً للمسلم .^(٤٥)

أما برجستراسر فيقول: ((الأكثر والأقرب للاحتمال هو أن يكون معنى (زيد جاء) عين معنى (جاء زيد) ، وإنما الفرق بينهما ، إني إذا قلت (جاء زيد) أخبرت عن مجيئه إخباراً محضاً ، ولا يخالطه شيء آخر ، فتقديم الفعل هو العبارة المألوفة ، وإذا قلت : (زيد جاء) كان مرادى أن أنه به السامع إلى أن الذي جاء هو (زيد) كأني قلت: زيد جاء لا غيره....)).^(٤٦) ، فالفاعل عند برجستراسر نفسه في الجملتين ، فيكون الفعل في الجملة الاسمية مستغنياً بفاعله المتقدم عن ضمير مستتر .

ومن أنواع الضمائر أيضاً (ضمير الفصل) ، وهو ضمير منفصل تسميه مدرسة البصرة (فضلاً) ، ويسميه أهل الكوفة عماداً ، والغرض منه التوكيد ، والإشعار بتمام الاسم الذي قبله وكماله ، وأن الاسم الوارد بعده يكون خبراً.^(٤٧)

٢- بحسب الدلالة ، وتنقسم على (متكلم ، مخاطب ، غائب).

أ- ضمائر المتكلم وهي سبعة: (أنا ، ونحن ، ونا ، والتاء ، والياء ، وإياي ، وإيانا).

ب- ضمائر المخاطب ، وهي ثلاثة عشر: (أنت ، وانتم ، وانتن ، إياك ، إياكما ، إياكم ، إياكن ، تاء المتكلم ، تاء المخاطب ، ألف الاثنين ، واو الجماعة ، ياء المخاطبة ، نون النسوة).

ج- ضمائر الغائب وهي ثلاثة عشر (هو ، هي ، هما ، هم ، هن ، إياه ، إياهما ، إياهم ، إياهن ، هاء الغائب ، ألف الاثنين ، واو الجماعة ، نون النسوة).^(٤٨)

وضمير المتكلم ، والمخاطب توضحهما المشاهدة ، أي إن المتكلم والمخاطب حاضر ، ومشاهد ، أما الضمير الغائب الذي يعد أكثر إبهاماً من غيره من أنواع الضمائر فيحتاج إلى مفسر يعود عليه . ولكون ضمائر الغيبة ألفاظاً مبهمّة توقع في اللبس ، فتحتاج إلى البيان ، ولا يمكن استعمالها بغير ما تشير إليه من أسماء ظاهرة^(٤٩) . وسنتناول كل منها بالتفصيل .

أ- ضمائر الغائب:- وهي ثلاثة عشر كما ذكرنا ، وهذه الضمائر تحتاج إلى مفسر واهم الشروط لاستخدام ضمير الغائب مع مفسره هي:

- وجود مرجع إليه الضمير.

- تقدم المرجع على ضميره في الغالب.

- قرب هذا المرجع.

الضمير في خطب نهج البلاغة (دراسة دلالية)

- الاقتصار على مرجع واحد يعود إليه الضمير ، لئلا يقع الالتباس إذا وجد غيره ، وهذا يمنع أن يكون الضمير عائداً إلى مرجعين في وقت واحد .^(٥٠)

وللمرجع أو المفسر أحوال متعددة هي:

— التصريح بلفظه: وهو الغالب نحو: (زيد لقيته) .

— الاستغناء عنه مما يدل عليه حسا ، نحو قوله تعالى: ﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي ﴾ ﴿ يوسف: ٢٦ ﴾ ، فلم يتقدم التصريح بلفظ امرأة العزيز وهي زليخة .

وفي قوله تعالى: ﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ﴾ ﴿ القصص: ٢٦ ﴾ . إي: (موسى) ، فموسى وامرأة العزيز هما حاضران في الذهن حسا .

— الاستغناء عنه مما يدل عليه علماً ، نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ .

﴿ القدر: ١ ﴾ أي: القرآن ؛ لأنه معلوم لدى المتلقي ، وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى ﴾ ﴿ آل عمران: ٣٦ ﴾ أي: مريم (عليها السلام) .^(٥١)

— الاستغناء عنه بجزئه: والمقصود أن اللفظ المذكور يمثل جزءاً من مدلول المرجع المستغنى عنه، نحو قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا ﴾ ﴿ التوبة: ٣٤ ﴾ ، أي: المكنوزات التي بعضها الذهب والفضة ، ولعل من ذلك قوله تعالى: ﴿ كَوَلَّا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ وَأَنْثٌ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴾ ﴿ الواقعة: ٨٣-٨٥ ﴾ . أي: المحتضر الذي بعضه الحلقوم .

— الاستغناء عنه بكله : والمقصود أن يكون المرجع المستغنى عنه جزءاً من مدلول اللفظ المذكور نحو:

أماوي ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها

أي: النفس التي هي بعض الفتى.

وقوله تعالى: ﴿ لَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوا مَا كَانَتْ مَعَكُمُ ﴾ ﴿ النساء: ١٢٩ ﴾ ، أي: الزوجة التي هي بعض النساء، وجعل من ذلك قوله تعالى: ﴿ اغْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ ﴿ المائدة: ٨ ﴾ .

أي: العدل الذي هو جزء مدلول الفعل لأنه يدل على الحدث والزمان .^(٥٢)

— الاستغناء عنه بنظيره ، نحو : (عندي درهم ونصفه) أي: ونصف درهم آخر ، ومنه قوله تعالى :

﴿ وَمَا يَعْزُبُ مِنْهُمْ مِنْ مَعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ ﴾ ﴿ فاطر: ١١ ﴾ ، أي: عمر معمر آخر.

— الاستغناء عنه بمصاحبة بوجه ما : كالاستغناء بمستلزم ، نحو قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْهُ ﴾ ﴿ البقرة: ١٧٨ ﴾ . فإن الضمير في (إليه) عائد على العافي الذي استلزمه (عفى)^(٥٣).

وبناءً على ما تقدم فيما ذكرناه ، نستنتج تقسيمات للضمير الغائب على وفق وجود المفسر وعدمه :

الضمير في خطب نهج البلاغة (دراسة دلالية)

١- ضمير يعود على متقدم مذكور: وهو ما نصّ عليه بلفظة صراحة فقد تكون هذه اللفظة متقدمة عليه ، والغالب في مفسر الضمير الغائب أن يكون مصرحاً بذكره .

والضمير قد يتقدمه مفسران أو أكثر وتكون جميعها صالحة للتفسير وذلك لاحتمال عوده على أحدها من دون أن يكون متعينا عوده لأي منها ، نحو: (جاءني زيد وعمرو فأكرمته) ، فالضمير يعود - هنا - على (عمرو) لأنه أقرب مذكور .^(٥٤)

والضمير العائد على أقرب مذكور يكون إذا تقدم على الضمير اسمان صالحان للتفسير ، واقتضت القرينة على أحدهما وهو الأقرب ، ويكون في هذا اسمان صريحان غير متعاطفين ، ولا متضايفين في نحو: (من عمل الخير فله أجره) فالأصل في هذا الضمير أن يكون عائداً على أقرب مذكور وهو (الخير) ، إلا أنه قد يرجح كونه للأول إذا كان هناك دليل يخرجه من كونه للأقرب فذلك إن تقول: (فله أجره على ما فعل) فيكون الضمير عائداً على (من) المتقدم ، أو قد يأتي السياق ليدلّ على أن الضمير للأقرب .^(٥٥) فقد يعود الضمير على متقدم مذكور في النص في نحو قوله تعالى: ﴿ وَأَتَوْا يَوْمَآ لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ البقرة: ٤٨ ﴿

، حيث يعود الضمير - هنا - إلى (النفس) ، فالنفس أقرب مذكور في الآية المباركة ودل عليها السياق فالمعنى : أن هذه النفس لا تقبل منها شفاعة ولا تؤخذ منها فدية ، فهذه النفس هي المحدث عنها .^(٥٦) وفي قول أمير المؤمنين (عليه السلام): ((مَا هِيَ إِلَّا الْكُوفَةُ أَقْبَضُهَا وَأَبْسَطُهَا إِنْ لَمْ تَكُونِي إِلَّا أَنْتِ تَهْبُ أَعَاصِيرُكَ فَقَبْحُكَ اللَّهُ)) .^(٥٧)

إذ نجد الضمير العائد على أقرب مذكور وهي (الكوفة) وهي المتحدث عنها في هذه الخطبة . وقوله (عليه السلام): ((لَكَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى ضَلِيلٍ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ وَفَحَصَ بِرَأْيَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانِ)) .^(٥٨) الضمير (الهاء) في كلمة (برايته) يعود على أقرب مذكور وهو الضليل ، ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً ﴾ الجن: ٦ ﴿ . فالضمير (هم) في (فزادوهم) يعود على مذكور متحدث عنه وهو الأقرب وقيل إن الضمير عائداً على رجال من الجن^(٥٩) إذ هم المحدث عنهم وهم أقرب مذكور .

وقوله (عليه السلام): ((مَا لِي وَلِقْرِيشٍ وَاللَّهِ لَقَدْ قَاتَلْتُهُمْ كَافِرِينَ وَلَأَقَاتِلَنَّهُمْ مُفْتُونِينَ)) .^(٦٠) ضمير الغائبين (هم) في (قاتلتهم) يعود على قريش فهم المتحدث عنهم الأقرب في الذكر .

ويترجح عود الضمير على أقرب مذكور ، لتوحيد مرجع الضمير في السياق الواحد ، فتوحد مرجعها وإعادتها إلى شيء واحد أولى ، وأفضل من تفرقتها ؛ لانسجام النظم واتساق السياق .

الضمير في خطب نهج البلاغة (دراسة دلالية)

وكما ذكرنا في بداية الحديث عن المفسر الأقرب ، فقد يذكر اسمين متقدمين على الضمير ، فيتعين الضمير وعوده على الأقرب ومن ذلك قوله (ﷺ): ((وَ عَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوَادِ الْأَعْظَمِ وَالرَّوَاقِ الْمُطَنَّبِ فَاضْرِبُوا ثَبَجَهُ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ))^(٦١) ، الضمير (الهاء) في (ثبجه) و (كسره) يعود على الأقرب وهو الرواق المطنب ؛ لأنه أقرب مذكور وربما يعود على الاثنين معا (السواد والرواق) كونهما معطوفين فأصبحا في حكم الشيء الواحد .

٢- الضمير العائد على متأخر مذكور في النص :

وهو أن يأتي مفسره متأخرا عنه نحو: (ضرب غلامه زيد) وهذا التأخير لفظا ، وقد يأتي متأخرا في الرتبة دون اللفظ نحو: (ضرب زيدا غلامه) أو يكون متأخرا لفظا ورتبة نحو (نعم رجلا زيد) ، ونحو قوله تعالى ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى ﴾ طه: ٦٧ ﴿

فالضمير - هنا - تقدم على العامل والمفسر ، وجاء العائد عليه متأخرا عنه ، وجواز هذا النوع لوروده عند العرب ؛ فجواز نحو: (ضربته زيدا) أسهل من إبدال زيد من الهاء ، أي: أسهل من قولك: ضربت زيدا زيدا .^(٦٢)

وفي قوله تعالى : ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى ﴾ طه ٦٧ ﴿ تقدم الضمير في التقدير من دون اللفظ ؛ لأن (موسى) فاعل فهو في نية التقديم ، وقيل أن فاعل (أوجس) ضمير مستتر ، وان (موسى) بدل منه .^(٦٣)

وخطب أمير المؤمنين لا تخلو من الضمير العائد على متأخر ففي قوله (ﷺ): ((أَمَا إِنَّ لَهُ إِمْرَةً كَلْعَقَةَ الْكَلْبِ أَنْفَهُ وَهُوَ أَبُو الْأَكْبَشِ الْأَرْبَعَةِ))^(٦٤)

فأبو الأكبش الأربعة وهو مفسر الضمير (الهاء) في قوله (له) وجاء متأخراً عليه وهو في التقدير متقدما عليه وقد يكون المفسر متأخراً في اللفظ والرتبة ، وهو محصور في سبعة أبواب:

الأول : في ضمير الشأن ، نحو ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ﴿ الإخلاص: ١ ﴾

الثاني : الضمير في باب نعم ، نحو: (نعم رجلاً زيد) .

الثالث : في باب بئس ، نحو: ﴿ بئسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ ﴿ الكهف: ٥٠ ﴾ فإنه يفسر بالتمييز .

الرابع : مجرور رب ، نحو: رب رجلاً ، فإنه مفسر بالتمييز كذلك .

الخامس : الضمير في التنازع إذا عملت الثاني واحتاج الأول إلى مرفوع ، نحو: قاما وقعد أخواك ، فإن الإلف راجعة إلى الأخوين .

السادس: الضمير المُبدل منه ما بعده ، كقولك في ابتداء الكلام: ضربته زيدا...

السابع: الضمير المتصل بالفاعل المقدم العائد على المفعول المؤخر وهو ضرورة على الأصح .^(٦٥)

الضمير في خطب نهج البلاغة ((دراسة دلالية))

والذي نجده من هذه الأبواب في خطبه (عليه السلام) هو إن يكون مفسراً بالتمييز ومثاله قوله (عليه السلام): ((يَا لَهُ مَرَاماً مَا أَبْعَدُهُ))^(٦٦)

فيقول الخوئي في عود الضمير - هنا - : ((الضمير في (له) مبهم يفسره التمييز بعده لفظاً ورتبة ، كما في : (نعم رجلاً زيد)))^(٦٧).

٣. الضمير العائد على خارج النص :

وهو ما كان مفسره غير موجود في النص ، وإنما يفسره السياق ليصل بنا إلى معرفة المفسر ، ومفسر الضمير أما مصرحاً بلفظه كما ذكرنا مسبقاً ، أو مستغنى عنه بحضور مدلوله علماً أو حساً وفي قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ القدر: ١ ، أي: القرآن.^(٦٨) كما في قوله (عليه السلام): ((أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ))^(٦٩) نجد أن الضمير - هنا - يعود على الخلافة ولم يصرح بها (عليه السلام) لفظاً فتفسر بحضور مدلولها حساً وعلماً ؛ لان الأمور التي ذكرها (عليه السلام) تخص الخلافة بالذات.

وكذلك في قوله : (عليه السلام) : ((فَصَدَّعَ بِمَا أَمَرَ بِهِ وَبَلَغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ))^(٧٠) فالضمير المستتر يعود على النبي محمد (صلى الله عليه وآله).

ونجد الكثير من الخطب التي يظهر فيها الضمير الغائب المبهم العائد على مفسر غير مذكور في النص ، والذي يكون أكثر الأنواع الأخرى للضمير الغائب .

ب - الضمير المخاطب و المتكلم : لم يكن نحة العربية بعيدين عن إدراك دور المخاطب في الاتصال الكلامي بل جعله بعضهم الباعث إلى التعبير عما في نفس المتكلم ، قال السهيلي : ((اعلم أن الكلام صفة قائمة في نفس المتكلم يعبر للمخاطب عنه بلفظ ، أو لحظ ، أو خط ، ولولا المخاطب ما احتيج إلى التعبير عما في نفس المتكلم))^(٧١).

وهذا القول يشير إلى القدرة الكلامية الكامنة في نفس المتكلم والتعبير عنها يكون بوسائل لغوية (لفظ) ، وغير لغوية (لحظ) ، (خط) والمخاطب شريك لا بد منه في الاتصال الكلامي .^(٧٢)

وإن الأفكار السياقية المتبادلة بين المتكلم والمتلقي ، والاتصال اللغوي لا يكون ناجحاً ، إلا حين يستنتج المتلقي أغراض المتكلم من خصيصة المنطوق الذي أنتجه ، ويرى البحث اللغوي الحديث المتأثر بنظريات علم النفس أن ((اللغة لا يصح أن تُدرس على أنها أداة عقلية فحسب ؛ لأن الإنسان كما يتكلم ليصوغ أفكاره فإنه يتكلم ليؤثر في غيره من الناس وليعبر عن إحساسه وشعوره وعواطفه ، فهو يعبر باللغة عن نفسه ، كما يعبر عن آرائه بل أنه يمكن القول بأن التعبير عن أية فكرة لا يخلو مطلقاً من لون عاطفي إلا إذا استثنينا التفكير العلمي ، أو اللغة العلمية التي يجب أن تكون معبرة عن الفكرة المحضنة ، والحقيقة المجردة الخالية من الانفعالات النفسية))^(٧٣).

الضمير في خطب نهج البلاغة ((دراسة دلالية))

إذن ((فالمتكلم هو صاحب المعنى ومنشؤه وموجهه ، وهو المسؤول عن وضوحه أو التباسه ، وبقدر ما يوفق المتكلم في التعليق بين تلك المعاني ، وصحة الائتلاف والاتحاد بينها ، وبقدر ما يلتزم بالنظام اللغوي الذي اتفقت عليه الجماعة اللغوية ، يكون هذا عوناً للمتلقي على فهم المعنى المقصود ، واستنتاج غرض المتكلم دون لبس ، والغاية من عملية الاتصال اللغوي هي نقل هذا المعنى من الجهاز العصبي المركزي عند المتكلم إلى نظيره عند المتلقي ، فالمتكلم لا ينشد سوى نقل المعنى الذي يظهر فيه غرضه ، كما أن المتلقي لا ينشد سوى فهم ذلك المعنى ، واستنتاج غرض المتكلم ، فالعنى هو الغاية ، وهو يعرض عليه المتكلم، والمتلقي بالنواجذ، وما المبنى إلّا الوسيلة التي اتفقت عليها الجماعة اللغوية لتحقيق تلك الغاية))^(٧٤)

والمتكلم صاحب الكلام الموجه للمخاطب وعلاقة المتكلم بالإضمار هو أن الإضمار في الظاهر عمل ينجزه المتكلم بمفرده وأن للمخاطب فيه دوراً محورياً يتمثل في سابق معرفته بالشئ المضمر، والإضمار في نظر النحاة حدث يحدث وعمل يأتيه المتكلم ، والمتكلم يعتمد إلى تغييب شئ وجعل شئ آخر مكانه^(٧٥)، وتحدث سيبويه عن المتكلم والمخاطب بقوله: ((اعلم أن المضمر المرفوع إذا حدث عن نفسه فإن علامته (أنا) ، وإن حدث عن نفسه وعن آخر ، قال نحن... وأما المضمر المخاطبُ فعلامته إن كان واحداً (أنت) أو (أنتم) ، وإن خاطبت اثنين فعلامتهما (أنتما) ، وإن خاطبت جميعاً فعلامتهم (أنتم))^(٧٦) . فضمائر المتكلم هي (أنا) للمفرد (ونحن) لجماعة المتكلمين ، و(أنت) للمفرد المخاطب و(أنتم) للثنتين (وأنتم) لجماعة المخاطبين .

((واعتبر سيبويه أن كل مضمر لا يضمّر إلا متى كان محدثاً عنه ، ثم تتميز المضمرات بحسب دورها في عملية التخاطب إلى متحدث عنه متكلم ، ومتحدث عنه مخاطب ، ومتحدث عنه غائب))^(٧٧) . وأشار المبرد إلى أن المحدث عنه عملية معنوية دلالية إذ يقول: ((واعلم أن ضمير المرفوع التاء يقول المتكلم إذا عنى نفسه ذكراً كان أو أنثى (قمتُ وذهبتُ) وإذا عنى غيره كانت التاء على حالها إلا أنها مفتوحة للمذكر ومكسورة للمؤنث... فإن ثنى المتكلم نفسه أو جمعها بان يكون معها واحداً أو أكثر قال: فعلنا ، ولم يجوز فعل نحن))^(٧٨) .

وللمتكلم أهمية فهو والمخاطب يعتمدان على دور المتكلم في الخطاب ، والمتكلم له دور مهم ، فهو من ناحية محدث متكلم ، ومن ناحية أخرى محدث عن نفسه^(٧٩) . فالمتكلم من حيث هو الشخص القائم بعملية التكلم لا يمكن أن يعد من الوحدات اللغوية ، وكذا المخاطب من حيث هو الشخص الموجه إليه الكلام ، وهما من حيث هذا الدور يقيان خارج اللغة ولا يتجسمان في وحدة من وحداتها اللغوية ؛ والدليل على ذلك أن المتكلم يمكن أن يتكلم ساعة بل يوماً من دون أن يظهر له أثر لغوي في كلامه ، وكذا المخاطب ، فبإمكان المتكلم أن يوجه إليه الكلام ما شاء من

الضمير في خطب نهج البلاغة ((دراسة دلالية))

دون أن يستعمل صيغة لغوية تدلّ عليه ، ويكفي أن يدعو المتكلم داع إلى أن يجعل نفسه موضوع الحديث ، أي أن يحدث نفسه ، ليضطر إلى استعمال الصيغة اللغوية المناسبة ، لذلك أن ضمير المتكلم ، وكذا الأمر بالنسبة إلى المخاطب ، يكفي أن يحتاج إلى أن يجعل منه المتكلم موضوع خطاب ليظهر في الصيغة اللغوية المناسبة له ، أي ضمير المخاطب ، وأن ضمائر المتكلم والمخاطب لم توضع في اللغة لمجرد الدلالة على المتكلم والمخاطب في تخاطبهما ، إنما وضعت لتدلّ عليهما متى أصبح أحدهما أو كلاهما موضوع الخطاب .^(٨٠)

فضمائر المتكلم ، أو المخاطب وضعت ليتحدث بها ويخبر بها عنها ، ولأبد من الإشارة إلى أن ضمائر المتكلم والمخاطب يحتاجان إلى مفسر ((والأصل في المفسر معنى المضمّر أن يكون مقامياً حضورياً اعتماداً على ما توفره شهادة الحال في المتكلم والمخاطب ...))^(٨١) ومفسرهما مقامي حضورياً اعتماداً على كون المتكلم اعرف المعارف.^(٨٢)

أما المخاطب فهو أقل في التعريف والتعيين والتخصيص ؛ لأنه قد يشتهه بالسامع الشاهد الحاضر عند حدوث الكلام من دون أن يكون مخاطباً وهذه الضمائر إنما تحتاج إلى المفسر للدلالة على تعيين الشخص وتخصيصه ، فالمفسر المقامي إذا كان من قبيل الأمر المعهود الحاصل في الذهن .^(٨٣)

والضمير المتكلم والمخاطب تفسرهما المشاهدة ؛ لكونهما حاضرين عند الحديث ، فالمتكلم هو صاحب الكلام والمخاطب هو الوجه إليه ذلك الأمر (الكلام).^(٨٤)

كما في قوله (عليه السلام): ((كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ وَاتِّبَاعَ الْبَهِيمَةِ رَغَا فَأَجَبْتُمْ وَعُقِرَ فَهَرَبْتُمْ))^(٨٥).
الضمير المخاطب - هنا - تفسره المشاهدة أو الحضور المقامي ؛ فمن خلال سياق الخطبة نلاحظ أنه يعود على أهل البصرة .^(٨٦)

وإما المتكلم فنجد في قوله (عليه السلام): ((وَنَحْنُ الْأَعْلَوْنَ نَسَبًا وَالْأَشْدُونَ بِالرَّسُولِ (صلى الله عليه وآله) نَوْطًا))^(٨٧).

مفسر ضمير المتكلم - هنا - هو الحضور والمشاهدة المقامية إذ إن الضمير يعود على أهل بيت النبي محمد (صلى الله عليه وآله) كما هو معلوم لنا .

وفي قوله (عليه السلام): ((وَإِنِّي لَعَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُكُمْ وَيُقِيمُ أَوْدَكُمْ وَلَكِنِّي لَأَرَى إِصْلَاحَكُمْ بِإِفْسَادِ نَفْسِي))^(٨٨).

الضمير الدال على جماعة المخاطبين (كم) وهو رابط قوي يشد ما قبله بما بعده وجاء للتعبير عن التوبيخ ودم أصحابه .^(٨٩)

ومن الملاحظ أن ضمير المبهم للمتكلم وللمخاطب قليل في الخطب المباركة مقارنة بضمير الغائب .

خامساً/ دلالة الضمير في خطب نهج البلاغة :

الضمير في خطب نهج البلاغة (دراسة دلالية)

الضمير في اللغة العربية ينتصب شامخاً كصورة من صور التعريف في مستوى الأداء البياني ، ليدل على دلالات اختزنها فيه الإنسان على مر العصور ، وأخرج منه أفكاراً ، ومشاعر شتى ، وقد أتاحت له الحرية المتمثلة في تعدد الضمير وتنوعه ارتباطات بالموروث والحاضر على السواء ، فالضمير في الاستعمالات كلها يتيح للمتكلم مجاوزة الزمن وتكثيف الصورة ، فيسمو باللغة الفنية لتغدو لغة بلاغية وجمالية ، فاستعمال الضمير أحد المعارف يعطي الجملة العربية امتداداً واسعاً في الدلالة ، فضلاً عن اكتنازه لمهمة التعريف المخصص^(٩٠) .

فالضمير يحمل دلالات متنوعة في خطب نهج البلاغة فالإمام (عليه السلام) عندما يريد أن يقلل من شأن أمر أو شخص يشير إليه بالضمير ، وقد يستخدمه لتعظيم شخص أو الفخر به أو التشويق إليه ، ودلالة الضمير تقسم إلى :

١- الدلالة السلبية : وهي الدلالة التي تحمل الصفات المدمومة كدلالة التصغير والتحقير ، ودلالة التوبيخ ، والدلالة السلبية للضمير تظهر في نهج البلاغة ومنها الخطب على النحو الآتي :

أ - دلالة التصغير والتحقير : التصغير : مصدر على وزن (تَفَعِيل) من الفعل الثلاثي المزيد بالتضعيف وهو (صَغَرَ) ، وللتصغير دلالات منها : التحقير ، والتقليل ، والذم^(٩١) .

وقد وردت هذه الدلالة للضمير في كلام الإمام (عليه السلام) ، ففي قوله في تحقير الكوفة ، وتصغيرها : ﴿ مَا هِيَ إِلَّا الْكُوفَةُ أَقْبَضُهَا وَأَبْسَطُهَا إِنْ لَمْ تَكُونِي إِلَّا أَنْتِ تَهْبُ أَعَاصِيرُكَ فَقَبْحَكَ اللَّهُ ﴾^(٩٢) .

فالضمير الغائب في (أقبضها) و(أبسطها) يعود إلى أقرب مذكور وهو الكوفة ، ونلاحظ أيضاً صرف الخطاب من الغيبة إلى خطاب الحاضر ؛ لإرادة تحقير الكوفة وتصغيرها بسبب ما كان يحدث فيها من الفتن ، وما صدر من أهلها من الاختلاف والشقاق^(٩٣) .

وعود الضمير الغائب إلى الكوفة يعرف بأدنى تأمل ، فسياق الحال ينبئ بهذا الأمر فالإمام أشار إلى هذا القول عندما تواترت عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد ، فقام الإمام على المنبر ضجراً بتثاقل أصحابه عن الجهاد ، ومخالفتهم له بالرأي ، ولا يخفى أن الضمير (هي) للشأن والقصة مبتدأ ، والكوفة خبر ، فأراد الإمام (عليه السلام) حصر ما بقي له من البلاد التي يعتمد عليها في الحرب ، ومقابلة العدو في الكوفة ، وهذا ما ذهب إليه ابن ميثم البحراني ، مبيناً دلالة التصغير لهذه الضمائر ، كأن الإمام قال: ما أصنع بتصرفي فيها مع حقارتها ؛ لنفاق أهلها وضلالة شأنهم^(٩٤) .

ويرى السيد عباس علي الموسوي أن الإمام (عليه السلام) قد قصد أهل الكوفة ، وليست الكوفة نفسها ، فعصيان أهلها ، وشكهم ، وترددهم وتحاذلهم جعلت الإمام يظهر صيحته مبيناً أن هذه المدينة كالقطعة المعدنية التي يتداولها الناس لحقارتها^(٩٥) ، ونجد كذلك جملة (تهب أعاصيرك) كناية عن اختلاف الآراء في الكوفة .

الضمير في خطب نهج البلاغة (دراسة دلالية)

فوجد الإمام (عليه السلام) وظف الإبهام في الضمير الغائب (هي)، و(الهاء) في المفردتين (أقبضها وأبسطها) وبقرينة السياق التي أسهمت في تحديد المعنى، وهو التحقير وتصغير تلك المدينة، فأراد الإمام تحقير أهل الكوفة لئلا يفهم، وترى الباحثة أن عود ضمير الغائب بحسب السياق يعود إلى الكوفة، لكن الإمام لا يريد هذا البلد بوصفه مكاناً، بل يريد أهل هذه البلدة، فالكوفة من الأماكن المقدسة في الإسلام، وقد اقترنت بالله سبحانه وتعالى؛ لأنها أماكن خصصت لقضاء فرائضه الدينية وعباداته تعالى فمسجد الكوفة الذي كان مقر عبادة الإمام والمخلصين من شيعته تعد من المساجد الأربعة في الإسلام.

فخطاب الإمام إلى هذا المكان (الكوفة) هو خطاب خاص لا يشملها، بل يشمل أهلها، ولا يمكن كذلك شمول أهل الكوفة كلهم بهذا التصغير، وهناك خطاب للإمام (عليه السلام) يعضد هذا الترجيح؛ فقد مدح الإمام (عليه السلام) الكوفة فذكر أنها كانت ملتقى الأحبة، وفيها العز، والوفاء وكونها عنصراً أساسياً من عناصر الحدث موضعاً فضل الكوفة ومكانتها المعنوية، فهو يرتبط بها ارتباطاً وثيقاً، فهي عاصمة حكمه وملتقى أصحابه، فالإمام (عليه السلام) يستحضر وبشكل تلقائي عما سيحدث في الكوفة بعده، وما سيحل بأهلها بعد أن حكموا فيها الجبارة، ومارسوا أقسى أنواع الظلم فيها، إلا أن كل جبار سيئته الله بعاقبة تشغله بنفسه^(٩٦)، فقال (عليه السلام): ((كأني بك يا كوفة تمدين مد الأديم العكاظي تُركن بالنازل و تُركن بالنازل وإني لأعلم أنه ما أراد بك جبار سوءاً إلا ابتلاه الله بشاغلٍ ورماه بقاتلٍ))^(٩٧)، وقوله (عليه السلام) أيضاً في تحقير من نقض بيعته، واتبع هواه من أهل البصرة: ((كنتم جند المرأة واتباع البهيمه رغا فأجبتهم وعقر فهربتهم أخلاقكم دقاق وعهدكم شقاق ودينكم نفاق وماؤكم زعاق))^(٩٨).

ومن الملاحظ عود ضمير المخاطب للجمع (تم) في (كنتم، وفأجبتهم، فهربتهم)، والضمير (كم) أيضاً في (أخلاقكم، وعهدكم، ودينكم، وماؤكم) على (جند المرأة)، وهم أهل البصرة؛ وذلك لكونهم ارتكبوا الزلل^(٩٩)، والمقصود ب(المرأة) هي السيدة عائشة، والتي خرجت على إمام زمانها علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فاتبعها أهل البصرة جاعلين إياها عقد نظامهم، ومدار قوامهم، غير آبهين بخليفة الله (عز وجل) ووصيه^(١٠٠).

وما قلناه في الموضوع المذكور آنفاً فيما يخص الكوفة وأهلها نقول هنا: فالإمام (عليه السلام) لم يقصد البصرة كونها مكاناً، ولم يقصد أهل البصرة كلهم، لكنه قصد من اتصف بالصفات التي ذكرها الإمام (عليه السلام) الذين نقضوا بيعته، ونكثوا العهود والمواثيق، فقال واصفاً إياهم ((أخلاقكم رقاق، وعهدكم شقاق، ودينكم نفاق)). أي أنهم أصحاب أخلاق قبيحة دينية رذيلة، وقد نبه من مخلصاً على عدم الاختلاط بهم، متوعداً إياهم بعذاب شديد من الله (عز وجل)^(١٠١).

الضمير في خطب نهج البلاغة (دراسة دلالية)

ومما يذكر أن الإمام (عليه السلام) قد وظف الإبهام في (جند المرأة) ، و(أتباع البهيمة) بقريظة ضمير المخاطبين، وهم بعض أهل البصرة ممن نقض بيعة الإمام (عليه السلام) ، ونكث العهد ، فضلاً عن ذلك فالسياق جاء مبهماً مما زاد ضمير المخاطبين إبهاماً وغموضاً.

ونلمح دلالة التحقير والتصغير عند حديثه عن الكوفة والجبارين فيها (عليه السلام): ((كَأَنِّي بَكَ يَا كُوفَةُ تُمَدِّينَ مَدَّ الْأَدِيمِ الْعُكَاطِيَّ تُعْرِكِينَ بِالنَّوَازِلِ وَتُرْكِبِينَ بِالزَّلَازِلِ وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُ مَا أَرَادَ بِكَ جَبَّارٌ سَوْءاً إِلَّا ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِشَاغِلٍ وَرَمَاهُ بِقَاتِلٍ !)).^(١٠٢)

والملاحظ أن الضمير في المفردتين (ابتلاه، ورماه) يعود على مفردة (جبار) ، ويبدو أنه غير معروف لدى المخاطبين بدلالة التنكير ، ومن دلالة ذلك أنه كل جبار قد يظهر في أي وقت وعلى أي مكان مقدس، ونستشعر من الضمير - هنا - أنه جاء بدلالة التحقير فالإمام (عليه السلام) ذكر الجبارين وما فعلوا بهذه المدينة أي الكوفة حيث أكثروا الفساد فيها وأرادوا بها سوءاً ومن هؤلاء زياد وابنه عبد الله حيث كانوا يجمعون الناس على سب أمير المؤمنين ، ومنهم عمر ، وبن هبيرة ، وابنه يوسف ومنهم خالد القسري ، ومصعب والزبير وذكر ابن ميثم البحراني المختار بينهم^(١٠٣)، إلا أن الخوئي خالفه في عدّ المختار منهم إذ أن ذلك ظلم بحقه^(١٠٣).

أي إن المختار ليس ممن قصدهم الإمام (عليه السلام) ووصفهم بالجبار ولم يقل جبارين ؛ لتوحدتهم بصفة الفساد والظلم وإجبار الناس على ما يريدون، وذكر (عليه السلام) بأنهم سيلاقون أشد العذاب ويشغلهم الله تعالى بالمرض ، أو الموت ، أو ما أشبه ذلك^(١٠٤)، ومن الملاحظ أن الإمام (عليه السلام) ابتداءً بذكر الكوفة بسياق المدح حيث ذكر أنها كانت ملتقى الأحبة وفيها العز والوفاء ، فالإمام ينظر بعين الغيب عما سيحدث في الكوفة بعده وما سيحل بأهلها بعد أن حكموا فيها الجبابة ، ومارسوا أقسى أنواع الظلم فيها ، إلا أن كل جبار سيبتليه الله بعاقبة تشغله بنفسه.^(١٠٥)

ف نجد الإمام (عليه السلام) قد وظف الإبهام في ضمير الغائب الذي يعود على المغرور ، وهو كل من ظلم ، وأفسد ، وطغى ، والإمام (عليه السلام) أراد تنبيه كل جبار بأن له عاقبة ، وتحقيره لبعده من الحق، ونحن نلمح ألمه (عليه السلام) وأساه على الكوفة من خلال الحديث عنها ، ولم يصرح بهوية الجبابة المقصودين ؛ لتحقيرهم ، وعدم التصريح أقوى في المعنى من التصريح.

ب - دلالة التوبيخ: التوبيخ مصدر على وزن (تفعيل) من الفعل الثلاثي المزيد بالتضعيف ، (وبَّخَ) على وزن (فَعَّلَ) ، قال الخليل : ((التَّوْبِيخُ : المَلَامَةُ ، وَبَخَّتْهُ بِسَوْءِ فَعْلِهِ))^(١٠٦) ، والتوبيخ التهديد والتأنيب^(١٠٧). قال الفيروز أبادي : ((وَبَّخَهُ تَوْبِيخًا لِمَا وَعَدَّ لَهُ وَأَنبَهُ وَهَدَّدَهُ))^(١٠٨) ، ومن خلال استقراء دلالات هذه المادة وهي (اللوم ، والعدل ، والتأنيب ، والتهديد) ، نحصل على أن التوبيخ يكون للمخاطب في أكثر الأحيان من أجل لومه ، وعذله ، وتأنيبه ، وتهديده .

الضمير في خطب نهج البلاغة (دراسة دلالية)

تظهر دلالة التويخ بواسطة الضمير من خلال مجموعة من أقوال الإمام (عليه السلام) ففي بيان دلالة التويخ بواسطة الضمير ، في كلام له (عليه السلام) يويخ فيه مفتوني وكفار قريش: ((مَا لِي وَ لَقْرَيْشٍ وَ اللّٰهُ لَقَدْ قَاتَلْتَهُمْ كَافِرِينَ وَ لَأَقَاتِلُهُمْ مُّفْتُونِينَ وَ إِنِّي لَصَاحِبُهُمْ بِالْأَمْسِ كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمْ الْيَوْمَ)).^(١٠٩)

خطب الإمام هذه الخطبة بالناس عند خروجه لقتال أهل البصرة ، وأنها مسوقة لإظهار غرضه من حرب أهل الجمل وهو إقامة الحق ، وإزاحة الباطل وأن حربه معهم جار مجرى حربه مع الكفار ، وأهل الجاهلية في زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم)^(١١٠) ، والملاحظ أن الضمير المتصل الغائب (هم) في المفردات (قاتلتهم) ، و(لأقاتلتهم) المتصل بالفعل الماضي ، والمضارع الذي يدل على دوام مقاتلته لهم ، والضمير في كلا المفردتين يعود على قريش ، ووجود اسمين احدهما صريح ، والآخر مفهوم قصد به بعض قريش ، وهم المفتونون والكافرون منهم ، لكن الضمير - هنا - يعود على أقرب مذكور في النص وهم قريش ، وهذا الكلام جاء بأسلوب الاستفهام على سبيل الإنكار والتويخ؛ لما بينهم وبين الإمام (عليه السلام) مما يوجب الاختلاف وجحد فضيلته ، وحسم لأعدائهم في حربه^(١١١) ، فالضمير يعود على المفتونين من قريش وليس كل قريش^(١١٢) ، وقد يكون مقصده طلحة ، والزبير وأمثالهما ممن حارب الإمام (عليه السلام) ، ويذكر أنه (عليه السلام) قاتلهم تحت راية الرسول (صلى الله عليه وسلم) في حال كونهم كافرين ، والضمير متصل بالفعل الماضي وفيه تبريع وتويخ لهم وهذا يعني أن الإمام حقرهم في الماضي ؛ لأنهم كفارون بالله ، والآن يقاتلهم ؛ لأنهم مفتونون في الدنيا وزخرفها ، وجاء بقوله (وإني لصاحبهم بالأمس) ، و(كما أنا صاحبهم اليوم) وهذا كناية عن عدم تغير نظرته وموقفه من هؤلاء عن الحالة التي كانت في زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم)^(١١٣) ، فذكرهم الإمام بماضيهم وخوفهم من مستقبلهم فبعد أن قاتلهم بسيفه وهم كفار الآن سيقاتلهم ؛ لأنهم بغاة منحرفون ولم يقصد الإمام بقوله صاحبهم أي بمعنى الصديق إنما قصد أنهم يعرفونه ويعرفون موقفه منهم ووقوفه بوجههم^(١١٤).

فقد وظف الإمام (عليه السلام) الإبهام في الضمير الغائب الذي يعود على كفار قريش ، ومفتونيهم وكما ذكر بعض الشراح أنهم طلحة ، والزبير وكل من وقف ضد الإمام (عليه السلام) وحاربه ، لكن الإمام لم يصرح بذكرهم ؛ لتويخهم وذلك بدلالة (مفتونين) ، و(كافرين) أي أن الإمام قاتلهم عندما كانوا كفاراً بالله وبرسوله ، والآن سيقاتلهم ؛ لأنهم مفتونون لا يعرفون طريق الحق وهذا يدل على استمرار مقاتلته لهم وعدم تغير موقفه منهم ، فأراد الإمام (عليه السلام) تنبيههم على أنه سيقاتلهم ولن يرضى بالكفر ، والضلال الذي هم عليه ، وكنى عنهم بالضمير ولم يصرح بذكرهم ؛ لتويخهم على بغيهم وضلالهم.

وتظهر دلالة التويخ بواسطة ضمير الغائب في قوله (عليه السلام): ((وَ اللّٰهُ مَا أَنْكُرُوا عَلَيَّ مُنْكَرًا وَ لَأَجْعَلُوا بَيْنِي وَ بَيْنَهُمْ نَصْفًا وَ إِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقًّا هُمْ تَرَكُوهُ وَ دَمًا هُمْ سَفَكُوهُ فَإِنْ كُنْتُ شَرِيكُهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ نَصِيبَهُمْ مِنْهُ وَ إِنْ كَانُوا وَ لَوْهُ دُونِي فَمَا الطَّلَبَةُ إِلَّآ قَبْلَهُمْ)).^(١١٥)

الضمير في خطب نهج البلاغة (دراسة دلالية)

قصد الإمام (عليه السلام) بهذه الخطبة (طلحة والزبير) ، وتوبيخ أصحاب الجمل بسبب معصيتهم له وما تقموه عليه ، والملاحظ أن ضمير الغائبين الواو في (أنكروا ، وجعلوا ، وتركوه) ، و(سفكوه) ، وضمير الغائبين (هم) في (بينهم) ، و(أنهم) ، و(شريكهم) ، و(نصيبتهم) ، و(قبلهم) يعود على غير مذكور في النص (خارج النص) فتعود على طلحة ، والزبير ، وسائر أصحاب الجمل ، فهم يزعمون أن الإمام (عليه السلام) قتل عثمان ، وحملهم هذا حسدهم وحبهم للدنيا ، واستيثارهم بها ، فتظاهروا بأنهم يطلبون حق قصاص من قتل عثمان ثم قال (عليه السلام) إنهم من قتل عثمان وأمروا بقتله فكيف يطلبون بدمه من الإمام (عليه السلام) (١١٦) ، وطلحة والزبير بايعا الإمام (عليه السلام) ثم نكثا بيعته ، ولم يكتفيا بهذا بل حرصا الناس على الخروج عليه ، فهم في خروجهم عليه على باطل ، ويحملهم الإمام دم عثمان ، ويلقي في أعناقهم مسؤولية قتله (١١٧) ، وعندما رأوا أنه (عليه السلام) لا ينزل عند رغبتهم في توليتهم المناصب ، وإعطائهم الأموال ، اتخذوا دم عثمان ذريعة لوصولهم إلى شهواتهم (١١٨) ، فرموا ما حدث لعثمان على الإمام ظلما وبهتاناً ، فكيف يطلبون بالعدل ويدعون بأنهم دعاة الأمر بالمعروف وهم لا ينصفون الناس في أنفسهم (١١٩) .

ومن الملاحظ وجود ضمير الغيبة الهاء في (تركوه ، وسفكوه ، وفيه ، ومنه ، ولوه) الذي يعود على (حقا) وقصد به الإمام (قتل عثمان والمطالبة بقصاص قاتله) فهم يطلبون حق القصاص من قاتلي عثمان هم من قتله ، وهم تركوا هذا الحق في المدينة وطالبوا به بخروجهم إلى البصرة (١٢٠) .

نجد أن الإمام (عليه السلام) وظف الإبهام في ضمير الغائبين الذي يعود على (طلحة ، والزبير) ، وأصحاب الجمل ، وفي ضمير الغائب الذي يعود على مفردة (حقا) الذي لم يصرح به وهو المطالبة بقصاص من قتل عثمان ، وأراد إخفاء هذا الأمر لمعرفةهم به وهم يعلمون أنفسهم أنهم على باطل ، والإمام (عليه السلام) أراد توبيخ كل من الزبير وطلحة وأصحاب الجمل ممن خرج عليه؛ بسبب ادعاءاتهم ، ولكونهم على باطل ، وأراد بتحقيق الحق الذي طلبوه أن يقول لهم أنهم وما يزعمون على باطل حتى أن الحق الذي يسمونه حقاً ليس بحق فهم ألبسوه ثوب الحق المزيف؛ لأنهم هم من قتل عثمان فكيف يطلبون بذلك الحق ؟ ونحن نلمس دلالة التوبيخ لهؤلاء ، وتحقير ما زعموا وادعوا فهم على باطل لا محالة ، والإمام (عليه السلام) أراد تبيينهم بأن الذي يزعمونه حقير مهان بنظره ؛ لأنه (عليه السلام) يبصر الحق وسيظهر الباطل والضلال الذي هم عليه .

٢- الدلالة الإيجابية للضمير: وهي عكس الدلالة السلبية ، إذ تحمل الصفات الحسنة والجيدة ، كالتعظيم ،

والمدح ، والفخر ، والتشويق وتظهر هذه الدلالة في مجموعة من أقوال

الإمام (عليه السلام) على النحو الآتي:

أ- دلالة التعظيم والتفخيم : يمكن بيان دلالة التعظيم والتفخيم للضمير من خلال جملة من أقوال الإمام

علي (عليه السلام) ، ففي بيان قوله معاتباً أنصاره (١٢١) : ((دَعُونِي وَاتَّمِسُّوا

الضمير في خطب نهج البلاغة (دراسة دلالية)

غَيْرِي فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْرَ لَهُ وَجُوهٌ وَأَلْوَانٌ لَا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ وَلَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ.... وَاعْلَمُوا أَنِّي إِن أُجِبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ وَلَمْ أَصْغِ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وَعَتَبِ الْعَاتِبِ)) (١٢٢)

نرى أن الإمام (عليه السلام) أحس بالجور، والظلم، وتغيير سنة رسول الله (ص) وسيرته، فرأى تفضيلهم العرب على العجم، والرؤساء على العبيد، وتفضيل بني أمية على سائر الناس، وجرى ذلك ديدنهم سنين عديدة، قال طه حسين: ((والشيء الذي ليس فيه شك هو أن عثمان قد ولّى الوليد على الكوفة بعد أن عزل سعداً وولّى عبد الله بن عامر على البصرة بعد أن عزل أبا موسى، وجمع الشام كلها معاوية وبسط سلطانه عليها أي أبعد حدّ ممكن بعد أن كانت الشام ولايات تشارك في إدارتها قريش وغيرها...، وولى عبد الله بن أبي سرح مصر بعد أن عزل عنها عمرو بن العاص، وكل هؤلاء الولاة من ذوي قرابة عثمان منهم أخوة لأمّه، ومنهم أخوه في الرضاعة، ومنهم خاله، ومنهم من يجتمع معه في نسبه الأدنى إلى أمية بن عبد شمس)) (١٢٣)

إن هذه الأمور التي انتشرت في المجتمع سيكون مآلها أمراً عظيماً، وخطباً فادحاً، وهذا الأمر لم يظهره الإمام (عليه السلام)، بل أبهمه من خلال ضمير الغائب (الهاء) المتصل في (له)، و(له) في (لا تقوم له القلوب)، و(عليه)، وهذا الأمر العظيم الذي أرادته الإمام هو الخلاف، والتباغض، والتحارب بين المسلمين من خلال انتشار الفتنة، والبعد عن شريعة الله تعالى وقد ظهر هذا الأمر من خلال استشرافه المستقبل فقد ظهر الناكثون، والقاسطون، والمارقون في حروب الجمل، وصفين، والنهروان (١٢٤).

فبعد أن قُتل عثمان طلبوا من الإمام البيعة وتولي الإمامة فطلب منهم أن يتركوا ذلك الأمر إلى غيره من المسلمين، وقوله هذا ليلقي عليهم الحجة بإشارته لما يحدث في المستقبل من قيام الناكثين والمارقين بحرب الإمام، وبعد أن طلب منهم أن يتخذوا غيره حذرهم من أمر له وجوه وألوان وقد يكون مقصده خروج طلحة والزبير وعائشة عليه ونشرهم الفتن ويخرجون معارضين الإمام (عليه السلام)، أي: إن المستقبل مظلم فيه فتن واضطرابات وفيه حروب ودماء (١٢٥).

ف نجد أن الإمام (عليه السلام) وظف الإبهام في مفردة (الأمر) بقرينة ضمير الغائب المبهم في قوله (له) و(عليه) العائد على أقرب مذكور وهو الأمر، والإمام (عليه السلام) صور هذا الأمر بهذه الصورة لأنه أراد تعظيمه فهو أمر خطير وأراد تحذيرهم من المستقبل وليعلمهم أنه على علم بما يحدث في المستقبل وأراد توبيخهم لأنه علم بعد أن خذلوه في الماضي بأنهم سيخذلونه في المستقبل ولعلمه بما سيجري ألقى عليهم الحجة؛ لأنه لو قبل طلبهم سار بهم إلى طريق الحق ولا يسير على طريق الخلفاء من قبله وهذا ما سيجري عليه من عتابهم (١٢٦)، إذن فضمير الغائب العائد على الأمر الذي أشار إليه الإمام (عليه السلام) جاء للتعظيم والتحذير على أن ذلك الأمر أمر خطير.

الضمير في خطب نهج البلاغة (دراسة دلالية)

وتظهر دلالة تعظيم الأمر وتفخيمه في ضمير الغائب في قول الإمام (عليه السلام): ((طَيْبٌ دَوَّارٌ بَطْبُهُ ، قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ ، وَأَحْمَى مَوَاسِمَهُ ، يَضَعُ ذَلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ مِنْ قُلُوبِ عُمِيِّ ، وَأَذَانِ صَمٍّ ، وَالنِّسْنَةِ بِكُمْ مُتَّبِعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ ، وَمَوَاطِنَ الْحَيْرَةِ ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِأَضْوَاءِ الْحِكْمَةِ وَلَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ الْعُلُومِ الثَّاقِبَةِ فَهُمْ فِي ذَلِكَ كَالْأَنْعَامِ السَّائِمَةِ وَالصُّخُورِ الْقَاسِيَةِ)^(١٢٧).

في هذا النص يشير الإمام (عليه السلام) إلى نفسه ، والضمير - هنا - في قوله (بطبه) يعود على الطيب ، وعند بحثنا عن معنى الطيب الذي قصده الإمام نجد لم يقصد به طيب الأبدان وإنما قصد به طيب القلوب والأرواح ، فهو كناية عن نفسه وقد وصف هذا الطيب بصيغة المبالغة (دوار) وهي صيغة مبالغة على وزن (فعال) يراد منها المبالغة وكثرة الدوران على المرضى فإنه طيب مرضى الجهل ورذائل الأخلاق ، وكنى بدوار بطبه لعلاج أصحاب الجهل من دائهم ونصب نفسه الشريفة لعلاجهم ، واستعار لفظ (المراهم) لما عنده من العلوم ومكارم الأخلاق فالإمام كالطبيب الذي يملك المراهم والأدوية والمكاوي لمن لا ينفع فيه المراهم^(١٢٨) ، وبين أنه معالج لأسقام الأرواح كمعالجة الأطباء لأمراض الأبدان ، وأشار (بإحكام المراهم) إلى البشارة بالثواب والأمر بالمعروف ، و(أحمى مواسمه) إشارة إلى الإنذار بالعقاب والنهي عن المنكر ، فيضع المراهم للقلوب التي أعمتها الدنيا وزخرفها فيفتح عماها بأعدادها لقبول أنوار العلم والهداية ، وأذان صم يشفي صممها ويعدها لقبول المواعظ ، ويعالج من كانت ألسنته تنطق بالباطل إلى النطق بالحق ، فهو (عليه السلام) يتتبع مواضع الغفلة^(١٢٩) ويدور هنا وهناك ومعه طبه أي علمه فأن وجد مريضا يريد العلاج من مرض الجهل فيشفيه بإرشاده وهدايته^(١٣٠) ، وأخذ يضع لكل داء حاجته من الدواء وإرشاده بذكر الله تعالى ، والإمام يوبخ الذين تخلفوا عن الأخذ منه بأنهم لم يجنوا من أنوار الحكمة التي تنفجر منه ولم يستفيدوا منه ومن علومه ووصفهم كالأنعام التي لا تفكر بشيء من مصالحها وشبههم بالصخور القاسية التي لا تتأثر^(١٣١).

ف نجد أن الإمام (عليه السلام) وظف الإبهام في مفردة (طيب) بقرينة ضمير الغائب العائد إليه والمراد به نفسه الشريفة وقد أبهم الضمير بدلالة تعظيمه وتفخيمه ، فالإمام أراد أرشاد الناس إلى الأخذ من علمه والاستفادة منه فهو الذي قال: ((سلوني قبل أن تفقدوني))^(١٣٢) وأشار إلى أن الذين أعرضوا عنه ولم يأخذوا منه بأنهم كالأنعام التي لا تفكر إلا بما يكفيها من مأكلا ولا تفكر بمصلحتها ، وأشار (عليه السلام) بالسياق إلى ذلك الطيب وهو نفسه الشريفة فهو خير مرشد ولا ريب من كونه النور الذي يستضاء به في طريق الجهل والضلال وأنه الطيب لعل الجهلة الغافلين عن أنفسهم وعن الدين القويم ، والدلالة التي يدل عليها الضمير العائد على لفظة (طيب) الذي زاد السياق غموضا وكون الخطاب السابق في النص قد ذكر به النبي (ص) فقد يكون مقصده من الطيب الرسول الأعظم (ﷺ) ، إلا أن الذي يؤكد بأنه يعود على نفسه الشريفة هو كون هذا النص قيل في فتنة بني أمية^(١٣٣) والرسول (ص) لم يشهد زمنه فتنة بني أمية ،

الضمير في خطب نهج البلاغة ((دراسة دلالية))

إذن فالضمير يعود على الإمام وهذا بدوره يزيد من دلالة التعظيم لطلبه وماله من أثر في نفوس الناس أجمع.

وتظهر دلالة التعظيم بصورة جلية في قوله (عليه السلام): ((فإنَّ الجهادَ بابٌ من أبوابِ الجنَّةِ ، فَتَحَهُ اللهُ لِخاصَّةِ أوليائِهِ ، وَهُوَ لباسُ التَّقوى ، وَدِرْعُ اللهِ الحَصِينَةُ وَجَنَّتُهُ الوَثِيقَةُ)) (١٣٤).

وهذا القول جاء بعد معركة صفين وما جرى فيها من مؤامرة التحكيم ، وأن معاوية قد استجمع قواه فبدأ بشن الغارات على العراق ، ولا سيما الأنبار على يد أخي غامد (سفيان بن عوف بن غامد) . (١٣٥)

ومن الملاحظ أن ضمير الغائب في (فتحه) و (هو) يعود على المتحدث عنه وهو الجهاد والسؤال - هنا - أ يعود الضمير على (الجهاد) أم على كلمة (باب) العائد على الجهاد على اعتبار عوده على أقرب مذكور؟ وما الدلالة التي خرج إليها الضمير؟

استعمل الإمام (عليه السلام) ضمير الغائب في (فتحه) ، وكذلك الضمير المنفصل (هو) ، فالأول يعود إلى الباب بلحاظ لفظ (الفتح) ، والثاني يعود إلى الجهاد بلحاظ الموضوع ، والضمير - هنا - جاء لتعظيم الخطاب الخاص بالجهاد فهو السبيل الوحيد لرد المعتدين الذين لا يدعون إلى الصلح والهدنة (١٣٦) ، والحث على هذا العمل الجليل ، والإمام (عليه السلام) شبه الجهاد ووصفه بأنه باب من أبواب الجنة إذ كما أن باب الدار منفذ إليها ، فالجهاد منفذ إلى الجنة (١٣٧) وهذا الباب لم يفتح لكل الناس بل لفئة واحدة إنها فئة المجاهدين المدافعين عن شرف الإسلام فيفتحه المجاهد بدمه وبسيفه ورمحه وبكلمة الحق في وجه الباطل ، فيفتحه الله لعباده الخالصين في حبهم لله الذين باعوا أنفسهم في سبيله ، ووصف الإمام الجهاد بأنه لباس التقوى فمن كان تقياً كان مجاهداً ومن - هنا - يظهر جهاد النفس الأمانة بالسوء ليظهر الإنسان نفسه بتقوى الله تعالى .

ف نجد أن الإمام (عليه السلام) استخدم ضمير الغائب العائد على الجهاد أي: جهاد النفس الأمانة بالسوء ، ومقاتلة الأعداء ، فنلمح دلالة تعظيم شأن الجهاد والحث عليه وضمير الغائب عائد عليه موسعاً من تلك الدلالة ومدققاً النظر والتفكير فيها.

ب - دلالة الفخر: تتجلى دلالة الفخر للضمائر في عدة مواضع من أقوال الإمام (عليه السلام) والذي يبدو أن هذه المواضع جاء فيها الخطاب بلفظ الجميع ، قال الهرمي (ت ٧٠٢هـ) : ((ولا تقول أيضاً : هذا غلامك وصاحبك ، ولكن تقول : هذا غلامكم وصاحبكم ؛ لأن الخطاب بالإفراد يقتضي المثلية ، وقدر المعظم أعظم من ذلك ، بل الأجود أن تخاطب المعظم بلفظ الجميع تعظيماً وتفخيماً ، فنقول له: غلامكم ، وفعلتم ، وأنعمتم ، أو تقول: فعل مولانا، وفعل سيدنا، وفعل الأمير ، وفعل السلطان بلفظ الغيبة ، كأنك تخبر عن غائب)) (١٣٨) ، وقال في موضع آخر مبيناً دلالة حسن التخاطب

الضمير في خطب نهج البلاغة ((دراسة دلالية))

بضمير الجمع بدل المفرد : ((ولا يُحَسِّنُ أَنْ تَخَاطَبَ الْمَلُوكَ بِالتَّاءِ الْمَفْرَدَةِ ، مِثْلُ : أَنْ تَقُولَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ فَعَلْتَ ، وَخَلَّدَ اللَّهُ دَوْلَتَكَ ، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ ، بَلْ تَقُولَ : أَنْتُمْ فَعَلْتُمْ ، خَلَّدَ اللَّهُ دَوْلَتَكُمْ ، تَخَاطَبَهُ فِي ذَلِكَ بِلَفْظِ الْجَمِيعِ))^(١٣٩) ، ففِي خُطْبَةٍ لَهُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يَذْكُرُ فِيهِ النَّبِيَّ (ﷺ) ، وَأَهْلَ بَيْتِهِ مَفْتَخَرًا بِهِمْ جَمِيعًا ، قَالَ: ((نَحْنُ شَجَرَةُ النَّبُوَّةِ وَمَحَطُّ الرِّسَالَةِ وَمُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ وَمَعَادِنُ الْعِلْمِ وَيَتَابِعُ الْحُكْمَ نَاصِرُنَا وَمُحِبُّنَا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ وَعَدُونَا وَمُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ السُّطُوَّةَ))^(١٤٠).

وهي قريبة من الصلوات المروية عن الإمام السجاد (ع) في شهر شعبان : ((اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ شَجَرَةِ النَّبُوَّةِ ، وَمَوْضِعِ الرِّسَالَةِ ، وَمُخْتَلَفِ الْمَلَائِكَةِ ، وَمَعْدِنِ الْعِلْمِ ، وَأَهْلِ بَيْتِ الْوَحْيِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ الْفُلِّ الْجَارِيَةِ فِي اللَّجَجِ الْغَامِرَةِ يَأْمَنُ مَنْ رَكِبَهَا ، وَيَغْرِقُ مَنْ تَرَكَهَا))^(١٤١).

وعوداً على بدء؛ فإن الضمير المنفصل للمتكلمين (نحن) لم يصرح الإمام (ع) بالمقصود منه ، فذهب ابن أبي الحديد إلى أنه (ع) أراد جماعة من ضمنهم الرسول (ﷺ) أو قد يكون أراد بها نفسه وأبنيه الحسن والحسين (عليهما السلام)^(١٤٢) ، وأشار ابن ميثم البحراني إلى أن الضمير يعود إلى الإمام (ع) نفسه كونه أب الأئمة فهو النور الأول للأئمة بلحاظ قربه من الرسول (ﷺ) أصلاً^(١٤٣) ، وهو صاحب يوم الغدير ، حين ولّاه الرسول الأعظم (ﷺ) خليفة ، وإماماً للمسلمين ، قال اليعقوبي : (ت: ٢٩٢هـ) في معرض حديثه عن حجة الوداع : ((قام خطيباً وأخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: أأنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى يا رسول الله! قال: فمن كنت مولاه ، فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه))^(١٤٤)

وذهب الخوئي إلى عود الضمير (نحن) إلى خاتم الأنبياء محمد (ﷺ) ووصيه الإمام (ع) ، وابنته فاطمة الزهراء (عليها السلام) وابنيها الإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام) ، وهم أهل الكساء الخمسة ، وأولاد الحسين (عليهما السلام)^(١٤٥) ، وهذا ما نرجحه فإشارته (ع) إلى الشجرة كناية عن الارتباط والتماسك وكثرة الذرية ؛ لأن الشجرة تتفرع إلى عدة أغصان ، فالأصل واحد ، والأغصان متفرعة ، فهم شجرة النبوة بمعنى أن النبوة متلبسة بهم فهم امتداد لها ، وهم محط الرسالة ومدارها ، وهم عين الحكمة وينبوعها ، المتقدم لهم مارق ، والمتأخر عنهم زاهق ، واللازم لهم لاحق^(١٤٦).

ف نجد أن الإمام (ع) وظف الإبهام في الضمير المنفصل للمتكلمين (نحن) ولم يصرح بمقصده ، ومن الكلام بعده الذي يشير به إلى فضيلة النبي محمد (ﷺ) وفضيلته (ع) وفضيلة أهل بيته (عليهم أفضل الصلاة والسلام) وذلك بإشارته بالشجرة إليهم (عليهم السلام) نستنتج أنه (ع) أراد النبي وأهل بيته (عليهم السلام) ولم يصرح بهم تعظيماً لهم وافتخاراً بهم وأنه أراد أن يبين أن النبي وأهل بيته أجمعين هم باب الجنة ، وفي ذلك دعوة إلى الإقتداء بهم وإتباعهم لأن مبغضهم سيجزون عذاباً أليماً .

الضمير في خطب نهج البلاغة (دراسة دلالية)

وتظهر هذه الدلالة في عود الضمير (هم) المنفصل ، والمتصل في (أسمائهم) في قوله (عليه السلام): ((أَلَا بِأَبِي وَأُمِّي ، هُمْ مِنْ عِدَّةِ أَسْمَائِهِمْ فِي السَّمَاءِ مَعْرُوفَةٌ وَفِي الْأَرْضِ مَجْهُولَةٌ أَلَا فَتَوَقَّعُوا مَا يَكُونُ مِنْ إِدْبَارِ أُمُورِكُمْ وَانْقِطَاعِ وُصْلِكُمْ وَاسْتِعْمَالِ صِغَارِكُمْ)). (١٤٧)

من الملاحظ أن ضمير الجماعة (هم) في حالة الانفصال ، والاتصال يعود على غير مذكور ، والسؤال على من يعود هذا الضمير؟ وما دلالته؟

وقد اختلف في عود الضمير ، فذهب ابن أبي الحديد إلى مرجع الضمير إلى الأئمة الأحد عشر من ولده (عليه السلام) (١٤٨) ، وذهب ابن ميثم البحراني إلى رجوعه إلى أولياء الله فيما يستقبل من الزمان (١٤٩) ، وذهب الخوئي إلى عودته إلى الأئمة المعصومين من بعده (١٥٠) .

والذي يبدو أن الإمام (عليه السلام) أراد بالضمير الأئمة من بعده ؛ والدليل أنه قدر عددهم ، وأن أسماءهم معروفة ، فإمامتهم منصوص عليها من السماء ، وتنصيبهم أمر إلهي ، فأراد الإمام أن يفتخر بهم ، ويبين علو منزلتهم ودرجتهم ، فهم أمان لأهل الأرض ، وشبههم بسفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق وهوى ، لكن أكثر الناس لا يعرفون قدرهم ، ودرجاتهم ، ولا تخفى الإشارة إلى تفدي الإمام (عليه السلام) بأبيه وأمّه ، لبيان هذا الفخر والاعتزاز فعندما أقسم بهذا القسم (بأبي وأمي) أراد أن يذكر أمراً عزيزاً ؛ لأن تفدية الأب والأم كبيرة لا تصلح إلّا لأمر عظيم ففداهم بأبيه وأمّه لجلال شأنهم ، فبالرغم من أن هذه الصفات تصدق لكلا الفريقين في كونهم أولياء الله الصالحين أو الأئمة من ولده (عليهم السلام) إلّا أن انطباقه على الأئمة أظهر وأقوى (١٥١) .

ف نجد أن الإمام (عليه السلام) وظف الإبهام في ضمير الغائبين ولم يصرح بذكرهم وبقرينة السياق التي تشير إليهم تتوصل إلى أنه (عليه السلام) أشار بالضمير إلى الأئمة (عليهم السلام) من ولده ؛ لاتصافهم بالصفات التي ذكرها (عليه السلام) وانطباقها عليهم ، وعدم ذكره وتصريحه بهم فخراً واعتزازاً وإجلالاً لهم ، وهذا ما أشار إليه بقوله (بأبي وأمي) فالإمام (عليه السلام) أراد أن يخبر الناس بأئمة المستقبل وأراد تعظيمهم والرفع من شأنهم والافتخار بهم ؛ لأنهم ساروا على نهج الرسول (ﷺ) وضحوا بكل غالٍ ونفيس في سبيل الله تعالى ونحن نلمس أثرهم الذي أثار طريقنا فلم ينقطع الإسلام وأحكامه بهم .

ج - دلالة التشويق : تظهر هذه الدلالة جلية ، عندما أراد الإمام (عليه السلام) أن يشوق المخاطبين إلى الجنة ونعيمها ، فقال : ((فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصْرِ قَلْبِكَ نَحْوَمَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا لَعَرَفْتَ نَفْسَكَ عَنْ بَدَائِعِ مَا أَخْرَجَ إِلَى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلذَاتِهَا وَزَخَارِفِ مَنَاطِرِهَا)) (١٥٢) ، فالضمير (الهاء) في (منها) ، و(شهواتها) ، و(لذاتها) ، و(مناظرها) يعود إلى الجنة ، وقد كنى الإمام (عليه السلام) بهذا الضمير عن الجنة ؛ لاشتهارها ومنزلتها.

الضمير في خطب نهج البلاغة ((دراسة دلالية))

إن أول ما يمكن أن نلاحظه الاستعارة الجميلة التي تشدنا إلى معرفة المخاطب من خلال قوله (عليه السلام) (فلو رميت ببصر قلبك) ، أي: لو نظرت بعين الباطن ، وتأملت ملياً لفكرت في دلالات ما وصف لك من متاع الجنة ، وملذاتها وألوانها التي لا تعد ولا تحصى ، عزفت عن متاع الدنيا فتلاشى أنواع اللذات كافة (١٥٣) ، ولا يخفى أن الإمام (عليه السلام) قد وظف أوصاف الجنة ، وحشد صورها من أجل تشويق السامع إلى ذلك النعيم الخالد، فيسعد ويفوز بها ، ومن جانب آخر أراد الإمام علي (عليه السلام) فضلاً عن تشويق السامع ، إلى تبيئه إلى هذا النعيم الجميل من أجل الفوز به ، ومن هنا جاء الإبهام بضمير الغيبة الذي يعود إلى الجنة تشويقاً لها بذكر صفاتها التي تبهر العقول، وتسعد النفوس . وقال (عليه السلام) في بيان منزلة الجنة ، وتشويق السامع لها : ((دَرَجَاتٌ مُتَفَاضِلَاتٌ وَمَنَازِلٌ مُتَفَاوِتَاتٌ لَا يَنْقَطِعُ نَعِيمُهَا وَلَا يَظْعَنُ مَقِيمُهَا وَلَا يَهْرُمُ خَالِدُهَا وَلَا يَبْأَسُ سَاكِنُهَا)) (١٥٤) ، فالضمير الغائب (الهاء) في (نعيمها ، ومقيمها ، وخالدها ، وساكنها) يعود إلى الجنة ، وقد وصف الإمام (عليه السلام) الجنة مبيناً درجاتها ، ومنزلها .

وتظهر دلالة التشويق لدى السامع عند وصف الإمام (عليه السلام) للجنة فنعيمها سخي المورد لا ينضب مائة وعطاؤه ، والمقيم فيها لا يفكر في الخروج منها ، فهو لا يشعر بالسأم والملل ، فضلاً عن ذلك فخالدها لا يهرم ولا يكبر ولا يبأس .

وقال (عليه السلام) في صفة منازل الآخرة ، وتشويق العباد إليها : ((فَسَابِقُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَى مَنَازِلِكُمُ الَّتِي أَمَرْتُمْ أَنْ تَعْمُرُوهَا وَ الَّتِي رَغِبْتُمْ فِيهَا وَ دُعِيتُمْ إِلَيْهَا)) (١٥٥) .

فضمير الغائب (الهاء) في (تعمروها) ، و(فيها) ، و(إليها) تعود على المنازل ، ولا تخفى دلالة الشوق إلى هذه المنازل ، من خلال ، ويمثل أسلوب الطلب في خطاب أمير المؤمنين إيعازاً منه إلى القوم ؛ لغرض حثهم والالتفات إلى منازل الآخرة ، والملاحظ الأسلوب في هذا الطلب هو الأمر (سابقوا) الذي ساقه الإمام في كلامه ما يجعل الإرشاد والوعظ إيعازاً في غاية الأهمية ، كذلك أن للجملة الدعائية (رحمكم الله) أثراً واضحاً في الحث على الدعوة ، وان الغرض من وجود هذه الجملة أي الدعائية هو التلطف في ذلك حتى يكون لهذا الطلب آذان صاغية وقلب لبيب ، وعليه فالدلالة التي نفهمها من هذا الخطاب هي النصح والإرشاد فضلاً عن التشويق والتلهف ، والذي يبدو ان الدلالات التي ذكرت كانت بسبب تظافر مجموعة من القرائن اللغوية ، والأسلوبية وليس الضمير فقط .

الخاتمة

لقد حاول هذا البحث المسمى (الضمير المبهم في خطب نهج البلاغة دراسة دلالية) أن يرسم صورة دقيقة للضمير المبهم في ضوء خطب نهج البلاغة ، وقد توصلنا من خلاله إلى نتائج هي:

١- تباين النحاة في تسمية الضمير إذ عده بعضهم من باب المبهمات ، وعده الآخر من المعارف ، وآخرون عده من باب الكنايات ، وعد الضمير من المبهمات ؛ كونه يحتمل عدة دلالات فضلاً عن تعدد عائدته

الضمير في خطب نهج البلاغة (دراسة دلالية)

باحتمال عوده على أكثر من اسم ، فقد يكون الأول ظاهر غير مقصود ، والمقصود مبهم يتوصل إليه من خلال البحث في الاسم الأول بوساطة السياق ، وهذا تأكيد على ما جاء في كتب النحاة .

٢- إن الإبهام في ضمير المخاطب ، وضمير المتكلم من حيث احتياجهما إلى مفسر مقامي ، كما في قول الإمام (عليه السلام): ((كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ وَاتِّبَاعَ الْبَهِيمَةِ رَغَاً فَأَجَبْتُمْ وَعَقِرَ فَهَرَبْتُمْ)) ، فالضمير المخاطب - هنا - تفسره المشاهدة ، أو الحضور المقامي ، فمن خلال السياق نلاحظ عوده على أهل البصرة ، وقوله (عليه السلام): ((وَنَحْنُ الْأَعْلَوْنَ نَسَباً وَالْأَشْدُونَ بِالرُّسُولِ (صلى الله عليه وآله) نَوْطاً)) ، ومقصد الإمام - هنا - أهل بيت النبي الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله) .

٣- وتبين لنا أن ضمير المتكلم والمخاطب قليل في خطب نهج البلاغة ، مقارنة بضمير الغائب .

٤- ونستنتج أن استخدام الإمام (عليه السلام) للضمير بأنواعه ، يخرج دلالات متعددة منها : (التصغير والتحقير ، والتوبيخ ، والتعظيم ، والفخر ، والتشويق) .

٥- والذي نستنتجه أن دلالة الضمير السلبية تكون أكثر تواجداً في خطب نهج البلاغة من الدلالة الإيجابية .

٦- والذي نستنتجه ان الدلالة التي نستنتجها في الخطب المباركة كانت بسبب تظافر مجموعة من القرائن اللغوية ، والأسلوبية وليس الضمير فقط .

وأخيراً فهذه النتائج لا يمكن أن تكون نهائية ، إذ يبقى الباب مفتوحاً لكثير من الدراسات والبحوث في النهج المبارك ، والله ولي التوفيق .

Abstract

Try this research understand vague pronoun according to the concept of linguists and rhetorical of ancient and modernizer and discuss its indications in rhetoric approach it s one of obscure kinds (demonstrative pronoun, and the relative pronoun, and anther obscure of the names) intended tacit pronoun and hiding and it turn needs to explainer or reference may appear and disappear on the listener, and make obscure to common indications and collect it in pronunciation which can be call on many names as well as that may be the indication of Commons which takes many persons , can not specify notwithout evidence, hence obscurity came this studying was divided pronoun to:

- 1 - According to the verbal existence or non-verbal (apparent, tacit pronoun)
- 2 - According to the indication and this is what we will focus on it in our research, a (first person pronoun ,second person pronoun ,, third person pronoun absent pronoun it has types:

A-pronoun relate to advance mentioned

B-pronoun related on belated in the text

C-pronoun related on out text: it is not available in text and understand from context and occasion tried this studying explain the concept of conscience in terms of semantic in speeches rhetoric approach and showed the reason for using imam pronoun in positions abasement and reprimand and use it in anther position to glorification pride, and the thrill.

هوامش البحث

- (١) النهج: صبحي الصالح: خ: ٥٢، ص: ٨٩
- (٢) المصدر نفسه: خ: ٢٣١، ص: ٣٥٣.
- (٣) النهج: خ: ٢٥، ص: ٦٦.
- (٤) المصدر نفسه: خ: ٧٣، ص: ١٠٢.
- (٥) المصدر نفسه: خ: ٣٥٣، ص: ٢٣١.
- (٦) النهج: خ: ١٣، ص: ٥٥.
- (٧) المصدر نفسه: خ: ١٦٢، ص: ٢٣١.
- (٨) العين: ٤١/٧، باب الضاد مادة (ضمير). وينظر: تهذيب اللغة: ٣٦/١٢-٣٧.
- (٩) لسان العرب: مج: ٢٦٠٦-٢٦٠٧/٤.
- (١٠) ينظر: الكتاب: ٧٧-٧٨/٢.
- (١١) المقتضب: ٤/ ٢٧٩.
- (١٢) المصدر نفسه: ٤/ ٢٨٠.
- (١٣) المصدر نفسه: ٤/ ٢٨١.
- (١٤) الأصول: ابن السراج: ١١٥/٢.
- (١٥) ينظر: المصدر نفسه والصفحة.
- (١٦) نتائج الفكر: السهيلي: ص: ١٧٠.
- (١٧) شرح الكافية: الرضي: ١١١/٢.
- (١٨) شرح التسهيل: ابن مالك، ١٢٠/١.
- (١٩) شرح شذور الذهب: ابن هشام: ١٦٨.
- (٢٠) من إسرار اللغة: إبراهيم أنيس: ص: ٢٤٧.
- (٢١) في النحو العربي قواعد وتطبيق: مهدي المخزومي: ص: ٤٧.
- (٢٢) أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة: د. فاضل مصطفى الساقى: ١٨٦.
- (٢٣) ينظر: المصدر نفسه والصفحة.
- (٢٤) جامع الدروس العربية: الشيخ مصطفى الغلاييني: ص: ١١٥.
- (٢٥) مفتاح العلوم: ١٩٠.
- (٢٦) ينظر: المثل السائر: ١٨٧-١٩٣/٢.
- (٢٧) ينظر: التلخيص في علوم البلاغة: القزويني: ص: ٩٠.
- (٢٨) ينظر: التذليل والتكميل: أبو حيان، ١٢٨/٢، وهمع الهوامع: ١٩٤/١.
- (٢٩) شرح المفصل: ابن يعيش، ٨٤/٣.
- (٣٠) ينظر: شرح الكافية الرضي: ١٢٢/٢، ٤٩١، وحاشية الصبان: ١٨٥/١.
- (٣١) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ٥٦٩.

الضمير في خطب نهج البلاغة (دراسة دلالية)

- (٣٢) ينظر: أسرار العربية: ابن الأثيري : ٣٤٥ .
- (٣٣) ينظر: شرح التسهيل /١/ ١١٤ .
- (٣٤) ينظر: شرح الكافية : الرضي : ١١٢-١١١/٢ .
- (٣٥) المصدر السابق والصفحة .
- (٣٦) ينظر: الخصائص : ١٩٣/٢ .
- (٣٧) ينظر : لسان العرب مج ٤ / ٢٧٧٦ (مادة عبث) .
- (٣٨) الخصائص: ١٩٣ /٢ .
- (٣٩) ينظر: شرح التسهيل : ١ / ١٦٦ ، ١٦٧ .
- (٤٠) ينظر: الضمائر في اللغة العربية : د. محمد عبد الله جبر ، ص: ٩٥ .
- (٤١) ينظر: نظام الارتباط والربط : مصطفى حميدة ، ص: ١٥٢-١٥٣ .
- (٤٢) المصدر نفسه : ص: ١٩٥ .
- (٤٣) ينظر: شرح المفصل: ، ٨٤/٣ ، وينظر : جامع الدروس العربية /١ / ١١٦-١١٧ .
- (٤٤) ينظر: النحو الوافي /١ / ٢٢٦-٢٢٧ .
- (٤٥) ينظر: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية ص: ١٥٣ .
- (٤٦) التطور النحوي : برجستراسر ، ص: ١٣٣ .
- (٤٧) ينظر: شرح الكافية الشافية : ١/ ٩٧-٩٨ ، وينظر شرح التسهيل : /١ / ١٦٧ .
- (٤٨) ينظر : ارتشاف الضرب : ٩١١/١ ، ينظر: النحو الوافي /١ / ٢١٧ .
- (٤٩) ينظر: ارتشاف الضرب: ٩٤١/١ . ينظر: الضمائر : ٩٥ .
- (٥٠) الضمائر: ص: ٩٥ .
- (٥١) ينظر: شرح التسهيل : /١ / ١٥٧ ، الضمائر: . ص: ٩٦-٩٧ .
- (٥٢) ينظر: . الضمائر: ٩٦ .
- (٥٣) همع الهوامع: السيوطي: /١ / ٢٢٨ .
- (٥٤) ينظر: حاشية الصبان على شرح الاشموني : /١ / ١٨٧ .
- (٥٥) ينظر: ارتشاف الضرب : ٩٤١/١ .
- (٥٦) ينظر: الكشف : الزمخشري /١ / ٢٦٦ .
- (٥٧) النهج: صبحي الصالح خ: ٢٥، ص: ٦٦ .
- (٥٨) المصدر نفسه : خ: ١٠١، ص: ١٤٧ .
- (٥٩) تفسير البحر المحيط: ٣٤١/٨ .
- (٦٠) النهج: خ: ٣٣، ص: ٧٧ .
- (٦١) المصدر نفسه : ٦٦، ص: ٩٧ .
- (٦٢) ينظر : شرح التسهيل : /١ / ١٦١-١٦٠ .
- (٦٣) ينظر: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب : ابن هشام ص: ١٦٨-١٦٩ .
- (٦٤) النهج : خ: ٧٣، ص: ١٠٢ .

الضمير في خطب نهج البلاغة ((دراسة دلالية))

- (٦٥) ينظر: شرح شذور الذهب ، ص: ١٦٩-١٧٠
- (٦٦) النهج: خ: ٢٢١، ص: ٣٣٨.
- (٦٧) منهاج البراعة: الخوئي: ١٩٦/١٤
- (٦٨) ينظر: ارتشاف الضرب: ٩٤١
- (٦٩) النهج: خ: ٣، ص: ٤٨.
- (٧٠) المصدر نفسه : خ: ٣٥٣، ص: ٢٣١.
- (٧١) ينظر: نتائج الفكر : ١٧٠ .
- (٧٢) ينظر: التعريف والتكبير: ٨٣.
- (٧٣) نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية : ٦٢، وينظر: المدخل إلى علم اللغة : رمضان عبد التواب ص: ١٣٩-١٤٠
- (٧٤) نظام الارتباط والربط : ٦٨ - ٦٩ .
- (٧٥) ينظر: أصول تحليل الخطاب : محمد الشاوش ١١٠٩/٢-١١١٠.
- (٧٦) الكتاب: سيبويه ٣٥٠/٢.
- (٧٧) ينظر: أصول تحليل الخطاب ١١١٦/٢
- (٧٨) المقتضب : ٣٩٦/١، وينظر أصول تحليل الخطاب ١١١٦/٢
- (٧٩) ينظر: أصول تحليل الخطاب ١١١٩/٢
- (٨٠) ينظر المصدر نفسه : ١١٢٢-١١٢١/٢
- (٨١) أصول تحليل الخطاب ١١٢٦/٢
- (٨٢) ينظر: المصدر السابق، والصفحة.
- (٨٣) ينظر: أصول تحليل الخطاب ١١٢٦/٢-١١٢٧
- (٨٤) ينظر: ارتشاف الضرب : ٩٤١/١.
- (٨٥) النهج: خ : ١٣، ص: ٥٥.
- (٨٦) شرح النهج : ميثم البحراني: ٤٧٧/١
- (٨٧) النهج: خ: ١٦٢، ص: ٢٣١.
- (٨٨) المصدر نفسه: خ: ٦٩، ص: ٩٩.
- (٨٩) ينظر: المصدر نفسه والصفحة .
- (٩٠) ينظر : في جمالية الكلمة : د. حسين جمعة : ١٢٥ .
- (٩١) ينظر: تاج العروس : مادة (صغر) ٣٢٢ / ٢ - ٣٢٣ .
- (٩٢) النهج: خ: ٢٤، ص: ٦٦.
- (٩٣) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ١/ ٢٢٦.
- (٩٤) ينظر: شرح نهج البلاغة: ابن ميثم البحراني : ٢ / ٢٩ .
- (٩٥) ينظر: شرح نهج البلاغة: موسوي: ١ / ٢٠٦ .
- (٩٦) ينظر: المصدر نفسه : ١ / ٣٣٦ .
- (٩٧) النهج : خ: ٤٧، ص: ٨٦.

الضمير في خطب نهج البلاغة (دراسة دلالية)

- (٩٨) المصدر نفسه : خ: ١٣، ص: ٥٥.
- (٩٩) ينظر: شرح نهج البلاغة: ابن ميثم البحراني: ٤٧٧-٤٧٦/١.
- (١٠٠) ينظر: منهاج البراعة: خوئي: ٣/١٦٥.
- (١٠١) ينظر: شرح نهج البلاغة : السيد عباس علي الموسوي ١٤٩-١٤٨/١.
- (١٠٢) النهج: خ: ٤٧، ص: ٨٦.
- (١٠٣) ينظر: شرح نهج البلاغة: ابن ميثم البحراني: ١٧١-١٧٠/٢.
- (١٠٤) منهاج البراعة: الخوئي: ٤/٢١٨-٢١٩.
- (١٠٥) : توضيح نهج البلاغة: حسين الشيرازي: ١/٢١٦.
- (١٠٦) : شرح نهج البلاغة: السيد عباس علي الموسوي ١/٣٣٦.
- (١٠٧) العين: الخليل بن أحمد: ٣/١٩٢١ (وبخ) ، وينظر: أساس البلاغة: الزمخشري: (مادة وبخ) ٢/٤٨٨.
- (١٠٨) ينظر : مختار الصحاح : الرازي : (وبخ) ٧٠٦.
- (١٠٩) القاموس المحيط : (وبخ) ١/٢٧٢
- (١١٠) النهج: خ: ٣٣، ص: ٧٧.
- (١١١) ينظر: شرح نهج البلاغة: ابن ميثم البحراني: ٢/١٠٢-١٠٥.
- (١١٢) ينظر: المصدر نفسه : ١٠٥/٢، ومنهاج البراعة: الخوئي: ٤/٥٥٤.
- (١١٣) ينظر: منهاج البراعة: الخوئي: ٤/٥٥.
- (١١٤) ينظر: شرح توضيح نهج البلاغة: حسين الخوئي: ١/١٧٧-١٧٨.
- (١١٥) ينظر: شرح نهج البلاغة: موسوي: ١/٢٦٤
- (١١٦) النهج: خ: ١٣٧، ص: ١٩٤.
- (١١٧) ينظر: منهاج البراعة: الخوئي: ٨/٢٩٩-٣٠٠.
- (١١٨) ينظر: شرح نهج البلاغة: الموسوي: ٢/١٣٧.
- (١١٩) ينظر: توضيح نهج البلاغة: حسين الشيرازي: ٢/٣١٠.
- (١٢٠) ينظر: في ظلال نهج البلاغة: مغنية: ٢/٢٩٣.
- (١٢١) ينظر: منهاج البراعة: الخوئي: ٨/٣٠٠.
- (١٢٢) النهج: ٩٢، ص: ١٣٦.
- (١٢٣) الفتنة الكبرى: ١/١٣٥.
- (١٢٤) ينظر: شرح نهج البلاغة: ابن ميثم البحراني: ٢/٥١٢-٥١٣، ومنهاج البراعة: الخوئي: ٧/٥١-٥٢.
- (١٢٥) ينظر: شرح نهج البلاغة: الموسوي: ٢/١١٨.
- (١٢٦) ينظر: توضيح نهج البلاغة: حسين الشيرازي: ٢/٩٣.
- (١٢٧) النهج: ١٠٨، ص: ١٥٦.
- (١٢٨) ينظر: شرح نهج البلاغة: ابن ميثم البحراني: ٣/٥٨-٥٩.
- (١٢٩) ينظر: منهاج البراعة: الخوئي: ٧/٢٨٤.
- (١٣٠) ينظر: توضيح نهج البلاغة: حسين الشيرازي: ٢/١٦٦.

الضمير في خطب نهج البلاغة (دراسة دلالية)

- (١٣١) ينظر: شرح نهج البلاغة: الموسوي ٢/٢١٦.
- (١٣٢) النهج: خ: ٩٣، ص: ١٣٧.
- (١٣٣) ينظر: النهج: صبحي الصالح: ١٥٦.
- (١٣٤) المصدر السابق: خ: ٢٧، ص: ٦٩.
- (١٣٥) ينظر: شرح نهج البلاغة: ابن ميثم البحراني: ٤٩/٢.
- (١٣٦) ينظر: توضيح نهج البلاغة: حسين الشيرازي: ١/١٤٩.
- (١٣٧) ينظر: شرح نهج البلاغة: الموسوي: ١/٢٢٣.
- (١٣٨) المحرر في النحو: الهرمي: ١/٢٢١.
- (١٣٩) المصدر نفسه: ١/٢٢٠-٢٢١.
- (١٤٠) النهج: خ: ١٠٩، ص: ١٦٢-١٦٣.
- (١٤١) مفاتيح الجنان: عباس القمي: (أعمال شهر شعبان): ٢٠٠.
- (١٤٢) ينظر: شرح نهج البلاغة: ابن ميثم البحراني ٧/٢١٩.
- (١٤٣) ينظر: المصدر نفسه: ٣/٧٢.
- (١٤٤) تاريخ يعقوبي: أحمد بن إسحاق يعقوبي: ١/٧٦.
- (١٤٥) ينظر: منهاج البراعة: ٧/٣٧٥.
- (١٤٦) ينظر: توضيح نهج البلاغة: حسين الشيرازي: ٢/١٩٢، ومفاتيح الجنان: ٢٠٦.
- (١٤٧) النهج: خ: ١٨٧، ص: ٢٧٧.
- (١٤٨) ينظر: ابن أبي الحديد: ١٣/٩٦.
- (١٤٩) ينظر: شرح نهج البلاغة: ابن ميثم البحراني ٤/١٨٣.
- (١٥٠) ينظر: منهاج البراعة: ١١/١٢٠.
- (١٥١) ينظر: شرح نهج البلاغة: الموسوي: ٣/٢٤٧، وتوضيح نهج البلاغة: حسن الشيرازي: ٣/١٤٦.
- (١٥٢) النهج: خ: ١٦٥، ص: ٢٣٩.
- (١٥٣) ينظر: شرح نهج البلاغة: ابن ميثم البحراني: ٣/٣١٣.
- (١٥٤) النهج: خ: ٨٥، ص: ١١٦.
- (١٥٥) المصدر نفسه.

قائمة المصادر والمراجع

- ارتشاف الضرب من لسان العرب: أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق وشرح ودراسة: د. رجب عثمان أحمد، مراجعة: د. رمضان عبد التواب مكتبة الخانجي. القاهرة، ط: ١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- أساس البلاغة: جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة: بيروت. لبنان (د.ت) و(د.ط).
- أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية: محمد الشاوش، المؤسسة العربية للتوزيع: تونس ط: ١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
- الأصول في النحو: لأبي بكر محمد بن سهل بن سراج النحوي البغدادي (ت ٣١٦هـ). تحق: عبد الحسين الفتلي. مؤسسة الرسالة، ط: ٣، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

الضمير في خطب نهج البلاغة ((دراسة دلالية))

- أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة : د. فاضل مصطفى الساقى . تقديم : د. تمام حسّان . مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط: ٨ ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين : أبو البركات بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري (ت ٥٧٧هـ) ، تحق: د. جودة مبروك محمد مبروك ، مراجعة : د. رمضان عبد التواب . مكتبة الخانجي . القاهرة ، ط: ١ ، ٢٠٠٢م .
- تاج العروس من جواهر القاموس : للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، تحق : عبد الستار أحمد فراج ، مطبعة حكومة الكويت ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م .
- تاريخ يعقوبي : أحمد بن إسحاق بن جعفر يعقوبي البغدادي (ت ٢٩٢هـ) ، علق عليه ووضع حواشيه : خليل المنصور ، دار الزهراء ، قم . إيران ، ١٤٢٩هـ .
- التذليل والتكميل في شرح كتاب التسهيل : أبو حيان محمد بن يوسف الغرناطي الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) تحق: حسن هنداوي ، دار القلم . دمشق ، ط: ١ ، ١٤١٨ - ١٤٢٢هـ ، ١٩٩٧ - ٢٠٠٢م .
- التطور النحوي للغة العربية : برجستراسر ، تعليق : رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٢م .
- التعريف والتكثير بين الدلالة والشكل: د. محمود أحمد نحلة ، مكتبة زهراء الشرق . القاهرة ، ١٩٩٩م .
- تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) ، دراسة وتحقيق وتعليق : د. زكريا عبد المجيد النوتي ، و د. أحمد النجولي الجمل ، قرظه : عبد الحي الفرماوي ، دار الكتب العلمية بيروت . لبنان ، ط: ١ ، ١٤٣١هـ - ١٩٩٣م .
- التلخيص في علوم البلاغة : جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب ، ضبطه وشرحه : عبد الرحمن البرقوقي ، دار الفكر . ط: ١ ، ١٩٠٤م .
- تهذيب اللغة : لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى (ت ٣٧٠) ، تقديم بقلم : عبد السلام هارون . دار القومية العربية للطباعة . ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .
- توضيح نهج البلاغة: السيد محمد الحسيني الشيرازي ، دار تراث الشيعة . طهران .
- جامع الدروس العربية : الشيخ مصطفى الغلاييني . المكتبة العصرية . صيدا . بيروت ، ط: ٢٨ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .
- حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: محمد بن علي الصبّان (ت ١٢٠٦هـ) تحق : طه عبد الرؤوف سعيد ، المكتبة التوفيقية . القاهرة (د.ط) و(د.ت) .
- الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) ، تحق: محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية ، (د.ت) و(د.ط) .
- شرح التسهيل : جمال الدين محمد بن مالك الأندلسي (ت ٦٧٢هـ) ، تحق: د. عبد الرحمن السيد ، و د. محمد بدوي المختون . هجر للطباعة والنشر ، ط: ١ ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
- شرح الرضي لكافية ابن الحاجب : محمد بن الحسن الاسترابادي المعروف بالرضي ، تحق: د. حسن بن محمد بن إبراهيم الحفطي ، إدارة الثقافة والنشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط: ١ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م . المملكة العربية السعودية .
- شرح شذور الذهب : ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) ، تحق: محمد محي الدين عبد الحميد . توزيع : دار الفكر . المكتبة المصرية للطباعة والنشر (د.ط) و(د.ت) .

الضمير في خطب نهج البلاغة (دراسة دلالية)

- شرح الكافية الشافية: أبي عبد الله جما الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن مالك الطائي الجبائي الشافعي (ت ٦٧٢هـ) تحق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود. منشورات بيبضون. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان، ط: ١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- شرح المفصل للزمخشري: موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلني (ت ٦٤٣هـ) صحح وعلق عليه: مشيخة الأزهر، الطباعة المنيرية. مصر (د.ت) و(د.ط).
- شرح نهج البلاغة: السيد عباس علي الموسوي، دار الرسول ودار الحجة البيضاء بيروت ط: الأولى ١٤١٨هـ.
- شرح نهج البلاغة: عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ)، تحق: محمد إبراهيم، دار الكتاب العربي. بغداد. شارع المتنبى، ط: الأولى ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- شرح نهج البلاغة: كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت ٦٧٩هـ) تنضير الحروف والإخراج الفني: أبو حسن السماوي، مطبعة: وفا. قم-إيران ط: ١، ١٤٢٧هـ.
- الضمائر في اللغة العربية: د. محمد عبد الله جبر، ط: ١، ١٩٨٣. دار المعارف. مكتبة اللغة العربية. شارع المتنبى.
- العين: لأبي عبد الرحمن بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ). تحق: د. مهدي المخزومي، و د. إبراهيم السامرائي. سلسلة المعاجم والفهارس (د.ت) و(د.ط).
- الفتنة الكبرى: د. طه حسين، دار المعارف، ط: السادسة، مصر: ١٩٦٦م.
- في جمالية الكلمة: د. حسين جمعة، مطبعة اتحاد الكتاب العرب. دمشق ٢٠٠٢م.
- في ظلال نهج البلاغة: محمد جواد مغنیه، دار العلم للملايين. بيروت-لبنان، ط: الرابعة ١٩٩٩م.
- في النحو العربي قواعد وتطبيق: مهدي المخزومي دار الرائد العربي بيروت. لبنان، ط: ٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- الكتاب: لسيويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر) (ت ١٨٠هـ). تحق: عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي، ط: ٣. القاهرة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: العلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) تحق: الشيخ أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، وشارك في تحقيقه: د. فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، مكتبة العبيكان، ط: ١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن حبة بن منظور (ت ٧١١هـ). تحق: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي. دار المعارف ١١١٩ كورنيش النيل-القاهرة.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين بن الأثير، قدمه وحقق عليه: د. أحمد الحوفي و د. بدوي طبانة. دار نهضة مصر للطبع والنشر. القاهرة (د.ت).
- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي. القاهرة، ط: الثالثة ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- المحرر في النحو: عمر بن عيسى إسماعيل الهرمي (ت ٧٠٢هـ)، تحق: د. منصور علي محمد عبد السميع، دار السلام، مصر، ط: الأولى ١٩٦٦.
- مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت ٣١١هـ)، عنى بترتيبه: محمود خاطر بك، المطبعة الأميرية بالقاهرة، ط: الثامنة ١٣٣٣هـ-١٩١٩م.
- مفاتيح الجنان: الشيخ عباس القمي، تعريب: محمد رضا النوري النجفي، دار المرتضى. بيروت ط: الأولى ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

الضمير في خطب نهج البلاغة ((دراسة دلالية))

- مفتاح العلوم: أبي يعقوب بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي (ت ٦٢٦هـ) ، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية. بيروت .لبنان.
- المقتضب: أبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ) . تحق محمد عبد الخالق عضيمة . القاهرة : ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
- من أسرار اللغة :إبراهيم أنيس ط: الثامنة ، مكتبة الانجلو المصرية . مطبعة محمد عبد الكريم صبان ٢٠٠٣م.
- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة : العلامة الميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي (ت ١٣٢٤هـ) ضبط وتحقيق : علي عاشور ، دار إحياء التراث العربي : بيروت -لبنان ط: ١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- نتائج الفكر في النحو : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (ت ٥٨١هـ) . تحق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ : علي محمد معوض . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . ط: ١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- النحو الوافي : عباس حسن ط: الثالثة ، دار المعارف بمصر (د.ت).
- نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية : مصطفى حميدة . مكتبة لبنان ناشرون ، ط : ١، ١٩٧٧م .
- نهج البلاغة لعلي بن أبي طالب : ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية د. صبحي الصالح ، دار الكتاب المصري .القاهرة ، دار الكتاب اللبناني . بيروت ط: ٤، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تحق: د.عبد العال سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة . بيروت ١٤١٣هـ-١٩٩٢م .